ذاكرة العرب

دورية علمية مُحكّمة - العدد السادس - ٢٠٢٢

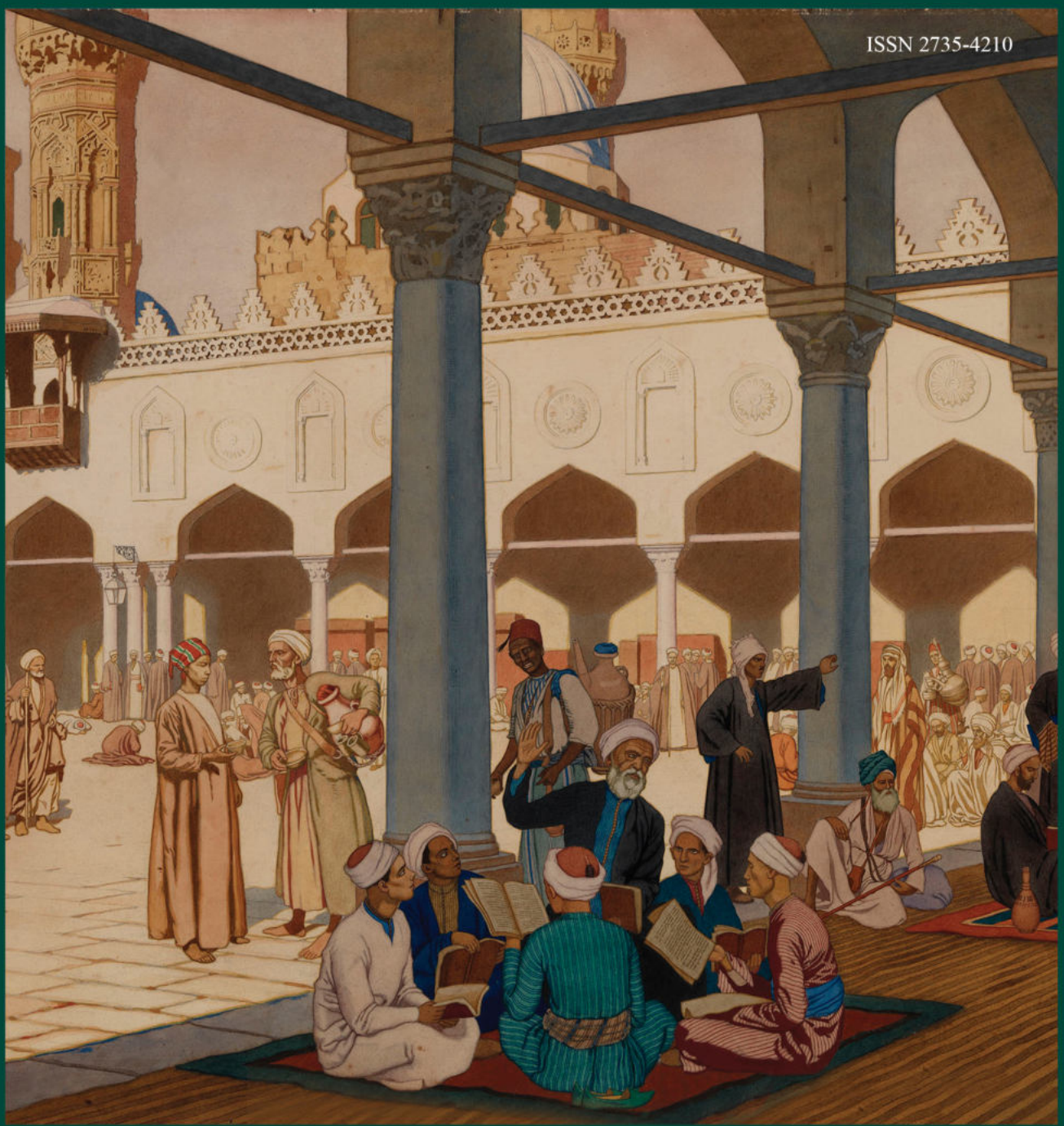

ISSN 2735-4210

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

دورية علمية مُحكّمة

مركز دراسات الحضارة الإسلامية
Center for Islamic Civilization Studies

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

ذاكرة العرب. ع6 (2022) - . الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، قطاع البحث الأكاديمي، مشروع ذاكرة العرب، 2023.

مجلدات ؛ سم.

ربع سنوي

ردمد 2735-4210

1. العرب-- تاريخ-- دوريات. 2. الثقافة العربية-- دوريات. 3. الحضارة العربية -- تاريخ -- دوريات. 4. الدول العربية-- تاريخ-- العصر الإسلامي-- دوريات. 5. الدول العربية -- تاريخ-- دوريات. أ- مكتبة الإسكندرية. قطاع البحث الأكاديمي. مشروع ذاكرة العرب.

ديوي 909.04927 2020424354276

ISSN 2735-4210

© مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢٣.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الدورية، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الدورية، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

طُبِع بمصر
١٠٠٠ نسخة

الإشراف العام

أ. د. أحْمَد عَبْد الله زَايِد
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس قطاع البحث الأكاديمي

د. مَرْوَة الوَكِيل

رئيس التحرير

د. مُحَمَّد الجَمَل

هيئة التحرير

د. شِيرِين القَبَّاني

د. رَضْوَى زَكِي

المراجعة اللغوية

د. مُحَمَّد حَسَن

دِينَا عِيسَوِي

مراجعة التنسيق

مَرْوَة عَادِل

معالجة النصوص

سَمَاح الحَدَّاد

التصميم الجرافيكي

مُحَمَّد شَعْرَاوِي

الإسكندرية، ٢٠٢٢

مجلة ذاكرة العرب دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية، وتهدف إلى التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن، وتصدر عن مشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بمكتبة الإسكندرية.

الهيئة الاستشارية

أ. د. أشرف فراج (مصر)

أ. د. ألبرشت فوس (ألمانيا)

أ. د. أيمن فؤاد سيد (مصر)

أ. د. حسام الدين شاشية (تونس)

أ. د. حسن محمد النابودة (الإمارات)

أ. د. حسين العمري (اليمن)

أ. د. خالد زيادة (لبنان)

أ. د. خوسيه ميجل بوريتا (إسبانيا)

أ. د. ديفيد نيكول (إنجلترا)

أ. د. سليمان الذييب (السعودية)

أ. د. صلاح جرار (الأردن)

أ. د. عبد الرحمن السالمي (عمان)

أ. د. عبد القادر بوباية (الجزائر)

أ. د. عبد الواحد ذنون طه (العراق)

أ. د. محمد أبطوي (المغرب)

أ. د. محمد الأمين ولد آن (موريتانيا)

أ. د. مصطفى موالدي (سورية)

أ. د. نيقولا ميشيل (فرنسا)

قواعد النشر

- ترحب المجلة بنشر البحوث الجديدة في كافة مجالات دراسات التراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية.
- يجب أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار والمنهجية، وأن يكون البحث جديدًا ولم يُنشر من قبل بأي صورة من صور النشر، وغير مستلٍّ من كتاب أو رسالة جامعية (ماجستير، دكتوراه).
- يتراوح عدد كلمات البحث بين ٦٠٠٠ و٨٠٠٠ كلمة.
- يُستخدَم خط Traditional Arabic للبحوث باللغة العربية بحجم ١٦ للمتن، و١٤ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- يُستخدَم خط Times New Roman للبحوث باللغة الإنجليزية بحجم ١٤ للمتن، و١٢ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- توضع الهوامش والإحالات في نهاية البحث إلكترونيًّا، ويكون تسلسل أرقام الهوامش متتاليًا متسلسلًا في البحث.
- يرفق قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يراعى اتباع منهجية النشر وقواعد كتابة المصادر والمراجع المتبعة في مكتبة الإسكندرية، ويلتزم الباحث بإجراء أي تعديلات ببليوغرافية حال طلبها.
- يرسل الباحث السيرة الذاتية مختصرة، ومزودة ببطاقة الهوية وبيانات اتصال كاملة.
- تحكيم الأبحاث سري ومعد على نموذج يخضع للمعايير العلمية الأكاديمية، وقرار إجازة البحث للنشر أو رفضه هو قرار نهائي. في حال الإجازة مع التعديل، يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة وفق المدة المحددة.

التواصل وإرسال الأبحاث عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

arabmemory.journal@bibalex.org

الفهرس

تقديم ٧

مساهمة مصر في ازدهار الحركة العلمية بالأندلس من خلال كتاب «عيون الإمامة ونواظر السياسة» لأبي طالب المرواني ٩

أ. د. عبد القادر بوباية

القاهرة المستنصرية من خلال وصف ناصر خسرو في «سفر نامة» (٤٣٩-٤٤٢هـ/ ١٠٤٧-١٠٥٠م) ٢٥

أ. د. حسن عبد الوهاب سليم

العَلاقات الدبلوماسية بين سلاطين دهلي والخلافة العباسية في بغداد والقاهرة: دراسة تاريخية في ضوء المصادر المصرية والهندية ٤١

د. صاحب عالم الأعظمي الندوي

صورة القاهرة في عيون أندلسية: قراءة في كتاب «النجوم الزاهرة في حُلَى حضرة القاهرة» ٧٣

د. شيماء فرغلي

علم الأنساب والدلالات الحضارية من مؤلفات القَلَقَشَنْدي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٩م) ٩٥

أ. د. عثماني أم الخير

مظاهر الأرستقراطية لحي الأزبكية في عصر دولة المماليك الجراكسة ١١٧

د. إيمان صلاح عطاطة

الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة الفاطمية والدول التابعة لها ١٤١

د. فرج الله أحمد يوسف

مدرسة المنصور قلاوون، عن أدريان دوزاتس.

تقديم

لقد خطَت مكتبة الإسكندرية خطوات واسعة نحو أداء أدوارها الثقافية والعلمية المتعددة على كافة المستويات المحلية والعربية والدولية، وذلك بعقد الندوات والمؤتمرات الدولية ونشر البحوث والمؤلفات العلمية الرصينة من خلال مراكزها العلمية المتعددة في مجالات العلوم والفنون والآداب.

وفي هذا السياق، تُصدر المكتبة العدد السادس من مجلة «ذاكرة العرب» التابعة لمشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بالمكتبة، وهي دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والحضاري للبلدان العربية، وتصدرها المكتبة منذ عام ٢٠١٨ بهدف التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن. وخُصص هذا العدد لموضوع «القاهرة ملتقى الثقافات والحضارات منذ نشأتها إلى نهاية العصر المملوكي» وذلك بمناسبة اختيار منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) للقاهرة عاصمةً للثقافة الإسلامية لعام ٢٠٢٢، ليعبِّر ذلك عن جانب من الأحداث والفعاليات الثقافية التي تُنظّمها مكتبة الإسكندرية، وتتيحها للباحثين والمهتمين من خلال دراسات ودوريات علمية مُحكّمة منشورة.

وقد ضم هذا العدد بعض البحوث المقدَّمة وفقًا للمحاور التي تضمنها الإعلان عن النشر العلمي في هذا العدد، مثل: مساهمة مصر في ازدهار الحركة العلمية بالأندلس، والقاهرة المستنصرية من خلال وصف ناصر خسرو في كتابه سفرنامة، بالإضافة إلى العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين دهلي والخلافة العباسيَّة في بغداد والقاهرة من خلال المصادر المصريَّة والهنديَّة، وصورة القاهرة في عيون أندلسية، وعلم الأنساب والدّلالات الحضاريّة من مؤلّفات القَلَقَشَنْدي، ومظاهر الأرستقراطية لحي الأزبكية في عصر دولة المماليك الجراكسة والآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة الفاطمية والدول التابعة لها.

أ. د. أحمد عبد الله زايد
مدير مكتبة الإسكندرية

علم الأنساب والدلالات الحضارية من مؤلفات القَلَقَشَنْدي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٩م)

أ. د. عثماني أم الخير

قصور ومنازل القاهرة بالقرب من باب الشعرية، عن باسكال كوست.

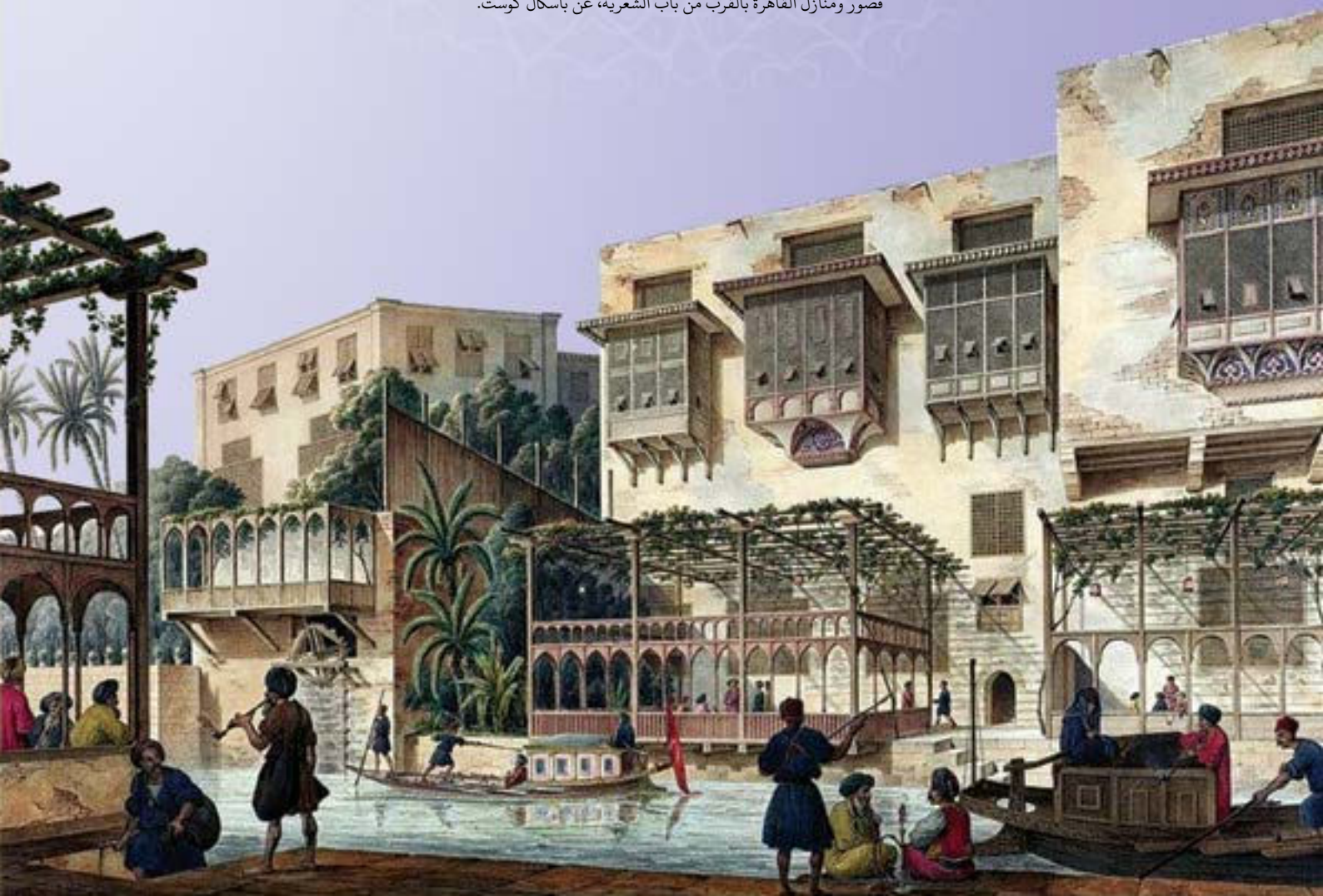

علم الأنساب والدلالات الحضارية من مؤلفات القَلَقَشَنْدي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٩م)

أ. د. عثماني أم الخير*

مقدمة

عرف علم الأنساب اهتمامًا كبيرًا من الباحثين على مختلف تخصّصاتهم، لما فيه من فوائد للفرد والجماعة فكان للإمام أبي العبّاس القلقشندي نصيبًا من الكتابة فيه لأسبابٍ عدّها في مضامين مؤلّفاته التي عُدّت من أفضل ما أُلّف في القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) وما بعده، لموسوعيّة طرْحه فيها وتدقيقه في علم الأنساب من جهة، وصناعة الكتابة وشروطها من جهةٍ أخرى. كما ضمَّت ضمنيًّا حديثه عن التطوُّر الحاصل في المجتمع المصري وبيئته: بين المحلِّي والوافد، فكان محقِّقًا ومُدقِّقًا للأنساب العربيّة، ذاكرًا مواقع توطُّنها بمصر، وأماكن هجراتها، وكلُّ ذلك في إطار تفعيله لعلم الأنساب لاستيعاب دلالاته الحضاريّة. فما مفهوم علم الأنساب عند القلقشندي؟ وفيمَ تتجلّى دلالاته الحضاريّة بمصر، سياسيًّا، واجتماعيًّا، وثقافيًّا بوصفه محافظًا على ذاكرتها وذاكرة العرب؟

١- التعريف بالقلقشندي وثقافته

أ- التعريف بالقلقشندي

هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبو اليمن الفزاري القلقشندي[١]، ثم القاهري الشافعي، والد النجم محمد الآبي. وُلد سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٦م)، واشتغل بالفقه، وغيره. وسمِع على ابن الشيخة، ومَن في وقته من العلماء والشيوخ، وكان أحد الفضلاء ممّن برعوا في الفقه والأدب، وكتب في الإنشاء، وناب في الحكم... مات في يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٩م)، وله خمس وستّون سنة[٢]. ويؤكّد ابن العماد الحنبلي ذلك، مضيفًا أنّه كان أحد الوافدين على القاهرة، حيث يقول: «في سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٩م) تُوفي القاضي شهاب الدين أحمد ابن علي بن أحمد القلقشندي الشافعي، نزيل القاهرة. تفقّه، ومَهَر، وتعانى الأدب... وكان مِفضالًا وقورًا في الدول إلى أن تُوفي ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة[٣].

القَلَقَشَنْدِيُّ من أصل عربي صِرف، فهو ينتمي إلى قبيلة فَزَارة، وهي بَطْن من ذُبيان، من غَطفان، وكانت منازلهم في نجد قبل مصر. تلقّى العلوم في مدينة الإسكندريّة، وأصبح منذ (٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م) مُدرِّسًا للحديث والفقه[٤]، ما يؤكّد أنّ مصر ومدنها كانت مُقامًا للعلم، ومستقبِلًا للوافدين. وقد نشأ القلقشندي في دار علمٍ وأدبٍ، وما إنْ صلب عوده حتّى توجّه نحو الإسكندرية لينهل من العلم... ثم التحق بديوان الإنشاء الذي كان يرأسه بدر الدين، أحد أقرباء العُمَري، وبقِي يعمل بالديوان إلى وفاته. وقد عاصر القلقشندي ابن خَلدون[٥].

أمّا نسبه من جهة الأمّ، فيبدو أنّ والدته تنتمي إلى قبيلة غمارة، بطن من معمورة، (وهم: بنو غمارة بن مِسْطح بن قليل ابن مصمودة بن بُرْنس بن بربر) إحدى القبائل المغربيّة، كما يظهر من النص الذي أورده القلقشندي في كتابه نهاية الأرب، قائلًا: «ومِن هذه القبيلة جدُّنا الشيخ الأندلسي البلنسي، وهو مدفون عنده في ضريحه، بقرافة مصر الصغرى -نفع الله ببركتهما»[٦].

ب- ثقافته

يُشيد القلقشندي بما كتبه ابن فضل العُمَري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) عن الكتابة وقوانينها قائلًا: «كان الدستور[٧] الموسوم بـ(التعريف بالمصطلح الشريف) صنعةَ الألمعي، والمِصْقع اللوذعي، ملك الكتابة وإمامها، وسلطان البلاغة ومالِك زمامها، المَقَرّ الشهباني، «أحمد بن فضل الله العدوي العُمَري»... هو أنفس الكتب المصنّفة في هذا الباب عِقْدًا»[٨]، ثم يبين القلقشندي مواطن النقص في الكتاب التي دفعته لكتابة مصنَّفه: «إلّا أنّه قد أهمل من مقاصد المصطلح أمورًا لا يسوغ تركها... ثمّ تلاه المَقَرّ التَّقَوي، ابن ناظر الجيش -رحمه الله- بوضع دستوره المسمّى تثقيف التعريف مقتفيًا أثرَه في الوضع... وكان مع ذلك قد ترك مما تضمنه «التعريف» مقاصدَ لا غنًى بالكاتب عنها، ولا بد للمتلبس بهذه الصناعة منها»[٩].

والظاهر أن كتابته عن الأنساب كانت لخدمة ديوان الإنشاء بالدرجة الأولى حيث يقول: «فشرعتُ في ذلك بعد أن استخرتُ الله تعالى، وما خاب مَن استخار، وراجعتُ أهل المشورة، وما ندِم مَنْ استشار، مستوعبًا من المصطلح ما اشتمل عليه «التعريف» و«التثقيف»، وموضِّحًا لما أبهماه، بتبيين الأمثلة مع قُرْب المأخذ وحُسْن التأليف، ومتبرعًا بأمورٍ زائدة على المصطلح الشريف لا يسع الكاتب جهلها، متنقِّلًا من توجيه المقاصد، وتبيين الشواهد، بما يُعرف به فرعُ كلِّ قضية وأصلها، آتيًا من معالم الكتابة بكل معنًى غريب، ناقلًا الناظر في هذا المصنَّف عن رتبة أن يسأل فلا يُجاب... منبِّهًا على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون، وسمّيته: «صبح الأعشى في كتابة الإنشا»[١٠].

كان القلقشندي ذا ثقافة واسعة وعلمٍ بالفقه والحديث والفرائض ومعرفة بالأنساب إضافةً إلى براعته في العربية والإنشاء، وقد ترجم له غير واحد مِن كُتاب التراجم، فقال عنه السخاويُّ في الضوء اللامع: شرح قِطَعًا من (جامع المختصرات)، بل شرع في نظْمِه، وعمل (صُبح الأعشى في قوانين الإنشا) في أربعة مجلّدات جمع فيه فأوعى، وكان يستحضر أكثر ذلك مع (جامع المختصرات)، و(الحاوي)، وكتابًا في أنساب العرب، وهو ممّن قرضَ سيرة المؤيّد لابن ناهض، مع تواضعٍ ومروءةٍ وخير... ذكره شيخنا (يقصد: ابن حجر) في معجمه وإنبائه والمقريزي والعيْني وآخرون... وبرع في العربيّة، وعرف الفرائض، وشارك في الفقه، وسمع الحديث، ونظمَ، ونثرَ، وأرّخ، وفاته في ليلة السبت عاشر جمادى الثانية[١١]، وكان يستحضر «الحاوي»، وكتب شيئًا على جامع المختصرات، وصنّف كتابًا حافلًا سمّاه «صبح الأعشى في معرفة الإنشا»، وكان مستحضرًا لأكثر ذلك، وصنّف غير ذلك، وكان مِفضالًا وَقورًا في الدول إلى أن تُوفِّي ليلة السبت عاشر جمادى. ومن الواضح أنّ كتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» مرآةٌ عاكسةٌ لثقافته وسعة علمه، لما فيه من موسوعيّة فنيّة، وطرْحٍ خاص.

٢- علم الأنساب والعلوم الأخرى والحاجة إليه

يعدّ علم الأنساب من أهمّ العلوم التي لقيت اهتمامًا بالغًا لما له من علاقة بكلِّ جوانب الحياة، بل بحياة الفرد ووجوده واستمراره، فاهتمّ به العلماء، وألّفوا فيه كتبًا، نذكر من بينهم: السمعاني (ت ٥٦٢هـ) الذي أشاد بأهمية هذا العلم حين قال: «وكان علم المعارف والأنساب لهذه الأمّة من أهمّ العلوم التي وضعها الله ﷻ فيهم[١٢]، ومعرفة الأنساب من عِظَم النِّعم التي أكرم الله تعالى بها عباده، لأنّ تشعّب الأنساب على افتراق القبائل والطوائف أحد الأسباب الممهِّدة لحصول الائتلاف، وكذلك اختلاف الألسنة والصور، وتباين الألوان والفِطر على ما قاله الله تعالى»[١٣]. وفي فصل (الحثّ على تعلّم الأنساب ومعرفتها) ذكر السمعاني حديثًا عن رسول الله ﷺ يقول: قال أبو هريرة: إنّ الرسول ﷺ قال: «تَعَلّمُوا مِن أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِه أَرْحَامَكُمْ، فَإنّ صِلَة الرحِمِ مَحَبَّة في الأَهْلِ، مَثْرَاة في المال، مَنْسَاة في الأَثَر»[١٤].

أمّا المؤرّخ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) فقد أشاد بضرورة هذا العلم والكتابة فيه بقوله: «أمّا بعد، فإنّي رأيتُ العلمَ بالأنساب داثرًا، والجهل به ظاهرًا، وهو ممّا يحتاج طالب العلم إليه، ويضطرُّ

(لوحة ١) مساجد القاهرة، عن ليون جيروم.

الراغب في الأدب والفضل إلى التعويل عليه[١٥]، وكثيرًا ما رأيتُ نسبًا إلى قبيلة أو بطْنٍ أو جدٍّ أو بلد أو صناعة أو مذهب أو غير ذلك، وأكثرها مجهول عند العامّة، غير معلومٍ عند الخاصّة، فيقع في كثيرٍ منه التصحيف، ويكثُر الغلط والتحريف، وكانت نفسي تنازعني إلى أن أجمع في هذا كتابًا حاويًا لهذه الأنساب، جامعًا لما فيه من المعارف والآداب، فكان العجز عنه يمنعني، والجهل بكثير منه يصدُّني»[١٦]. والغاية من علم النسب ليست فقط تحرِّي استمرار النسل ونقاوته، بل كذلك ما يقوم به من سلوكيّاتٍ وأعمالٍ تخلِّد صوره عبر الأزمان.

ويتّفق الإمام أبو العبّاس القلقشندي في نفس المسعى مع مَن سبقه في الاهتمام بعلم الأنساب والكتابة فيه، فيقول: «فلمّا كان العلم بقبائل العرب، وأنسابهم على جلالة قدره، وعلوِّ مكانه، ورِفْعَة ذِكْرِه قد دَرَسَ بترك مُدارسة معالمه، وانقرضَ بانقراض عُلمائه من العصر الأوّل ملزومُه ولازمُه، مع مسيسِ الحاجة إليه في كثيرٍ من المُهمات، ودعاءِ الضرورة إلى معرفته في الجليل من الوقائع والمُلمّات[١٧]. وذكَر في موضع آخر اهتمام السلف به من الخلفاء، فقد كان أبو بكر الصديق ﷺ في علم الأنساب بالمقام الرفيع، والجانب الأعلى، وذلك أدلُّ دليل وأعظم شاهد على شرف هذا العلم وجلالة قدره[١٨].

وقد سجّل بعض الدارسين اهتمام القلقشندي بأنساب العرب، قائلًا: «كان موضوع النسب من أكثر الموضوعات أهميّةً لدى القلقشندي الذي تناوله في ثلاثة من مؤلّفاته، وبدرجاتٍ متفاوتة، بحسب ما يقتضيه هدف الكتاب وغايته، فَبَحَثَهُ أوّلًا في «صبح الأعشى» ضمن كلامه عن العلوم التي يستكمل بها الكاتب ثقافته، وخصّص كتابيه الآخرينِ «نهاية الأرب»، و«قلائد الجُمان» لهذا الموضوع[١٩]. الدوافع: حاجة مثقّفي العصر إلى مُؤلَّفٍ في الأنساب لمعرفة أنساب الأمم، من عربٍ وعجمٍ، بعد أن أُهمِل هذا العلم في عصره، ولأنّ العلم بالأنساب من الأمور الضروريّة الثقافيّة للكاتب[٢٠].

وتكلم القلقشندي عن فضل علم الأنساب وفائدته ومسيس الحاجة إليه، وقال: بأنّه لا خفاء أنّ المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة، لما يترتّب عليها من الأحكام الشرعيّة والمعالم الدينيّة، فقد وردت الشريعة المطهّرة باعتبارها في مواضع، منها: العلم بنسب النبي ﷺ، وأنّه النبي القُرشي الهاشمي الذي كان بمكّة، وهاجر منها إلى المدينة، فإنّه لا بدَّ لصحّة الإيمان من معرفة ذلك، ولا يُعذر مسلم في الجهل به، وناهيك بذلك[٢١]. وأضاف إلى ما ذكره «التعارف بين الناس، حتّى لا يُعْتزى أحدٌ إلى غير أبيه، ولا يُنسب إلى سوى أجداده... ولولا معرفة الأنساب لَفَاتَ إدراك ذلك، وتعذّر الوصول إليه»[٢٢]. ويذكره في سياقه ضمن مختلف العلوم قائلًا: «... أمّا الفقه والفرائض والعلم بالنحو واللغة وصناعة الحساب والمساحة والنجوم والمعرفة بإجراء المياه والعلم بالأنساب، فكلُّ واحدٍ منها منفرد على حدته»[٢٣].

وقد أورد أمثلة عن فعالية النسب في معاملات العرب ومجالسهم، ومنها ما حدث في أحد مجالس الخليفة المنصور، أبي جعفر، عبد الله (١٣٦هـ/ ١٥٨هـ - ٧٥٤م/ ٧٧٥م) العباسي، ويُحكى عن الربيع[٢٤] أنّه قال: «كنّا وقوفًا على رأس المنصور، وقد وضع لابنه المهدي وليِّ عهده وسادةً؛ إذ أقبلَ صالح ابنه، وكان قد

رشحه أن يولِّيَه بعض أمره، فقام بين السِّماطينِ -والناس على قدْر أنسابهم ومنازلهم-، فتكلّم فأجاد، فمدّ المنصور يده إليه، ثمّ قال: إليَّ يا بُنيَّ، فاعتنقه، ونظر في وجوه أصحابه، فقال: هل أحدٌ يذكُر مقامه، ويصف فضله؟ فكلُّهم كَرِهَ ذلك هيبةً للمهدي، فقام شبّة بن عُقال التميمي، فقال: لله درّ خطيبٍ قام عندك يا أمير المؤمنين! ما أفصح بيانه، وأمضى جنانه، وأبلَّ ريقه، وأسْهلَ طريقه! وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه، والمهدي أخوه! قال الربيع: فأقبلَ عليَّ بعضُ مَن حضر، وقال: والله ما رأيتُ مثل هذا مُحاجيًا: أرضى أمير المؤمنين، ومدحَ الغلام، وسَلِمَ من المهدي. فالتفت إليَّ المنصور، وقال: يا ربيع، لا ينصرف التميمي إلّا بثلاثين ألف درهم[٢٥]. وهذا مما يؤكِّد قيمة النسب عند بني العبّاس، ودوره في سلوك وآداب مجالسهم.

وارتبطت كتابة الإنشاء بالأنساب، فكان العلم بالأنساب من عُدة الكاتب وأدواته، ففيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء من اللغة، والنحو، والتصريف، والمعاني، والبيان، والبديع، وحِفْظ كتاب الله تعالى، والكثير من الأحاديث النبويّة، وخطبهم، ورسائلهم، ومكاتباتهم، ومحاوراتهم، ومراوضاتهم، وأشعار العرب، والمولَّدين والمحدثين، وأمثال العرب، ومَن جرى مجراهم، والمعرفة بالتاريخ وأنساب العرب، ومفاخراتهم، ومنافراتهم، وحروبهم، وأوابدهم في الجاهليّة، وأحوال الأمم، والأحكام السلطانيّة، وأصناف العلوم، ومَن بَرع في كلِّ علم منها، والكتب الفائقة في كلِّ فنٍّ من فنونها، وما يجري مجرى ذلك، والمعرفة بصنعة الكلام، وكيفيّة إنشائه ونظِمه، وتأليفه وترصيفه، وما يُحْمَد من ذلك وما يُذَمّ[٢٦]. وفي هذا إشارة إلى ثقافة القلقشندي، إذ كان على الكَتَبَة أن يكونوا بالضرورة أكثر تعليمًا وبلاغةً مِن غيرهم ليتمكّنوا من أداء مَهامهم[٢٧].

وارتبط جلال السلطان بجلالة كاتب الإنشاء «وليس من الصنائع صناعةٌ تجمع هذه الفضائل إلّا صناعة الكتابة، وذلك لأنّ الملك يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم مُلْكه مع وقوع خللٍ فيها»[٢٨]. مع إشارته إلى دلالة لفظة الكاتب على كاتب الإنشاء فقال: «إلّا أنّ العُرْف، ممّا تقدّم من الزمان قد خصّ لفْظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتّى كانت إذا أُطلقت لا يُراد بها غير كتابة الإنشاء، والكاتب إذا أُطلق لا يُراد به غير كاتبها»[٢٩]. ومن ذلك أنّ القلقشندي سيؤكِّد نسبَه، باعتبار أنّ صاحب هذه المهنة شريف. فكتابة الإنشاء المراد بها كلُّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهُدن والأمانات والأيمان، وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها[٣٠].

وأشار القلقشندي إلى التحوير الذي لحِق اسم الكاتب ووظيفته بمصر، وهذا ما يكون له تأثيرٌ على نسبه «ثمّ غلب في زماننا بالديار المصريّة اسم الكاتب على كاتب المال، حتّى صار الكاتب إذا أُطْلق لا يراد به غيره، وصار لصناعة الإنشاء اسمان: اسم يستعمله أهل الديوان، ويتلفّظون به، وهو كتابة الإنشاء، وعام يتلفّظ به عامّة الناس، وهو التوقيع[٣١]. ويُقرّ تعريفًا ضمّنه تثبيت نسبة الكلام في كتابة الإنشاء «فأمّا كتابة الإنشاء، فالمراد بها كلُّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني[٣٢]، وحيثُ كان الديوان مشهورًا بديوان الإنشاء، كما في زماننا بالديار المصريّة لُقِّب متولّيه بصاحب ديوان الإنشاء، وكانوا يلقّبونه في الدولة الفاطميّة بالديار المصريّة: كاتب الدسْت»[٣٣].

وفي موضع آخر يقول: «...وبعدُ، فلمّا كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها، وأربح البضائع وأنفعها، وأفضل المآثر وأغلاها، لا سيّما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها وإنسان عينها، بل عين إنسانها لا تلتفت الملوك إلّا إليها، ولا تعوِّل في المهمَّات إلّا عليها، يعظّمون أصحابها، ويقرِّبون كُتّابها، فحليفها أبدًا خليقٌ بالتقديم، جديرٌ بالتبجيل والتكريم[٣٤]. وكان ديوان الإنشاء تارةً يُضاف إلى الوزارة، فيكون الوزير هو الذي ينفّذ في أموره بقلمه ويتولّى أحواله بنفسه، وتارةً يُفْرَد عنه بكاتبٍ ينظر في أمره، ويكون الوزير هو الذي ينفّذ أموره بكلامه، ويصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها. وصاحب ديوان الإنشاء يعتمد ما يَرِد عليه من ديوان الوزارة، ويمشي على ما يُلْقى إليه من توقيعه»[٣٥]. خاصّة وأنّ اللسان والكلام عمومًا اعتراهما اللحن وغيره بعد سقوط الخلافة العبّاسيّة، «ثمّ لمّا انقرضت الخلافة من بغداد في وقعة هولاكو ملك التتار، في سنة ستّ وخمسين وستمائة، واستولت المغلّ والأعاجم على بغداد بطُل رسم الكتابة المعتبرة، وصار أكثر ما يُكْتبُ عن ملوك التتار بالمغلّيّة أو الفارسيّة، والأمر على ذلك إلى زماننا على ما سيأتي بيانه في الكلام على دواوين الأمصار في المكاتبات والولايات وغيرهما[٣٦]، وذلك ما سيؤثّر على الدور الذي لعبته القبال العربيّة في تعريب مصر مرحلةً إثرَ مرحلة، حتّى عصر المماليك الجراكسة»[٣٧].

وطبيعي أن يكون التلازم في التغيير بين اللغة ومستوى التفكير، فاللغة تؤثّر في الفكر، والفكر يؤثّر في اللغة ولكن الصواب أنّ الفرد الذي يولد في محيط له ثقافة سيفكِّر بالاعتماد على مفردات تتّصل بوسيلة التعبير الشائعة في جماعته، وإنّ طبيعة تفكيره بالتالي ستكون متأثّرة بذلك. فنحن عندما نريد دراسة الطريقة التي يفكّر بها أيّ شعب من الشعوب، فإنّنا

ندرس لغة هذا الشعب[٣٨]، فضلًا عن ما يكون في اختلاط الأنساب، فحسَب ابن خلدون: «اعلم أنّه من البَيِّنِ أنّ بعضًا من أهل الأنساب يسقُط إلى أهل نسبٍ آخر بقرابة إليهم أو حِلْفٍ أو ولاءٍ أو لفرارٍ من قومه بجنايةٍ أصابها، فيدّعي بنسبِ هؤلاء، ويُعدُّ منهم في ثمراته من النَّعْرة والقَوَدِ وحَمْلِ الديّات وسائر الأحوال، وإذا وُجدتْ ثمرات النسب، فكأنّه وُجد، لأنّه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء إلّا جَريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنّه التحمَ بهم، ثمّ إنّه قد يُتناسى النسب الأوّل بطول الزمان، ويذهب أهل العلم به، فيخفَى. وما زالت الأنساب تسقط من شعبٍ إلى شعب، ويلتحم قوم بآخرين في الجاهليّة والإسلام والعرب والعجم»[٣٩].

٣- الوضع الثقافي في مصر قبل وأثناء عصر القلقشندي

تحدّث القلقشندي ضِمن مؤلّفاته عن وضع مصر الثقافي، مشيدًا بحظوتها في هذا المجال، وكيف خُلّدت المآثر بأسماء قبائل مُنْشئيها، وتعكس منهجيّة بحوث القلقشندي ثراءَ تعليمه وتعلّمه الفكري والثقافي في عصره، إذ تشير إلى عددٍ لا يُحْصى من المصادر التي اطّلع عليها حول مواضيع مختلفة تُغَطّي مساحات جغرافيّة وتاريخيّة شاسعة وهو ما أضاف إلى عمله وبحوثه قيمةً[٤٠]، فذكر الجوامع، ومنها: «الجامع الطولوني الذي بناه أحمد بن طولون في سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٣م)، على الجبل المعروف بـ«جبل يشْكر» الذي يُنسب إلى يشْكر بن جزيلة، من لَخَم، كان خِطّة لهم»[٤١].

كما أشار القلقشندي إلى ما كانت عليه مصر من اهتمام بالعلماء والعلم وبناء المساجد «في عهد كافور الإخشيدي الخادم الذي تولّى الحكم سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)، وكان يحب العلماء والفقهاء ويكرّمهم، ويتعاهدهم بالنفقات، ويُكْثر الصدقات، حتّى استغنى الناس في أيامه، ولم يجد أرباب الأموال منهم الزكاة، فرفعوا أمْر ذلك إليه، فأمرهم أن يبتنوا بها المساجد، ويتّخذوا لها الأوقاف، ففعلوا»[٤٢].

وذكر القلقشندي في حديثه عن خزائن الكتب المشهورة «ويقال: إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن، الثانية منها خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعًا للكتب النفيسة من جميع العلوم، ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم، واستيلاء السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم، فاشترى القاضي الفاضل أكثر هذه الخزانة، ووقفها بمدرسته الفاضلة، بدرْب «ملوخيا» بالقاهرة»[٤٣].

وعن دوْر المساجد في التدريس يقول: «وأما المدارس، فكان المتقدِّمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق، وأوّل من أحدث المدارس بالفُسطاط «بنو أيوب»، فعمّر السلطان صلاح الدين -رحمه الله- مدرستين، إحداهما: مدرسة المالكيّة المعروفة بـ«القَمْحِيَّة»، في المحرّم سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م)، وسُميت بالقمحية، لأن معلومها يُصْرَف للمدرسين والطلبة قَمْحًا. والثانية: المدرسة المعروفة بـ«ابن زين التجار»، وكانت سجنًا يُسجن فيه، فبناها السلطان صلاح الدين مدرسةً، ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها»[٤٤].

وبنى السلطان الملك المعزّ أيبك التركماني أولُ ملوك الترك مدرسته المُعزيّة برَحبة الخروب، في شهور سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م)، وعمّر الصاحب شرف الدين بن الفائزي مدرسته الفائزية قبل وزارته في شهور (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م)[٤٥]. وأمّا الخَوَانِق والرُّبُط، فلم تُعْهد بالفُسطاط، غير أن الصاحب «بهاء الدين حنّا» عمَّر رِباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلة الفُسطاط[٤٦]. وذكر القلقشندي ذلك بقوله: «وأمّا الخوانق والرُّبُط، فمِمّا لم يُعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية، وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب -رحمه الله-[٤٧]. وابتنى الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤١م) المدرسةَ الناصرية، بجوار البيمارستان، ثم ابتنى الناصر حسن بن الناصر محمد قلاوون (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٢م) مدرستَه العُظمى تحت القلعة، ثم ابتنى الظاهر برقوق (ت ٧٩١هـ/ ١٣٩٠م) مدرستَه الظاهرية بين القصرين[٤٨].

والظاهر أن القلقشندي -بما سبق ذكره- يشير إلى ما كان يُخَلِّد به حكامُ مصر وأمراؤها مآثرهم، ببناء المدارس التي أنشأها العرب والعجم ممّن سكن مصر. في حين يركز على ضرورة التخليد بالنسَب ذاكرًا شرف نسب النبي، ثمّ شرف البارزي صاحب ديوان الإنشاء الذي أهداه الكتاب بقوله: «الحمد لله الذي جعل للعرب بالنَّسب المحمدي مُنتمًى تنعقد على فضله الخناصر، وأيَّد عزهم بأعزِّ مليك، وأعزَّ جانبهم بأعز ناصر، وخصّهم من كثرة القبائل، بما يقف دون عدّه العاد، ويعترف بالعجز عن حصره الحاصر، وأَنَالهم من الشرف الباذخ ما لا تمتد إليه يد أحد من الأمم، فكل مُدعٍ عن بلوغ درجته قاصر، أحمده على أن رفع عماد بيت النسب البارزي، وأعلى درجه، ومدّ أطناب ممادحه في الآفاق وأطاب الذكر الجميل أرَجه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة يشيع في القبائل ذكرها...»[٤٩].

والواضح أن وجود المدارس بكثرتها ومناهجها لم يُغْنِ مصر عن البحث في الأصول بالاعتناء بخزائن الكتب، على أنواعها

ونوعية التأليف وعلومه، «... وأتى من تدبيره المُلكَ بما أطلع نجومَه الأَوَافِل، وفرغ من فروض المملكة فأتى بالنوافل، فأخذ في عِمارة ما دَرَسَ من المُعزية القاهرة وبَادَ... وقد اقتفى سنن الملوك الماضية في الاعتناء بمآثر المعروف الباقية والاحتفال من صالح الأعمال بما لا ينقطع ثوابه، من علمٍ يُنتفع به أو صدقةٍ جارية، فابتنى المدرسة الغراء التي عزّ في الوجود نظيرها، وراقَ منظرها، وأبْهج نظيرها... وأُودِعتْ من نفائس الكتب ما يتنافس فيه المتنافسون، وانفردتْ من نوادر المصنّفات بما لم يشاركها فيه غيرها من المدارس»[٥٠].

«ومع مساهمته -أعز الله أنصاره- في الأنساب بكريم نسبه، واشتماله من محبة العلم وأهله، على ما يقتضي بمتين دينه ووثاقة سببه؛ أحببتُ أن أخْدم خزانتَه العالية عمّرها الله تعالى ببقاء مُنشيها، وأدام عزها بدوام أيام بانيها، بتأليف كتاب في معرفة قبائل العرب والعلم بأنسابها يجدد به الدُّرُوسَ رسومُها، ويطلع بأفق الزمان بعد الأفول نجومها، ليكون باختصاصه بوصفه كالغُرة في وجه كُتبه، ويدخره بخزانته السعيدة، ليصير كلمة باقية في عَقِبِه، فشرعتُ في ذلك، بعد أن استخرتُ الله،

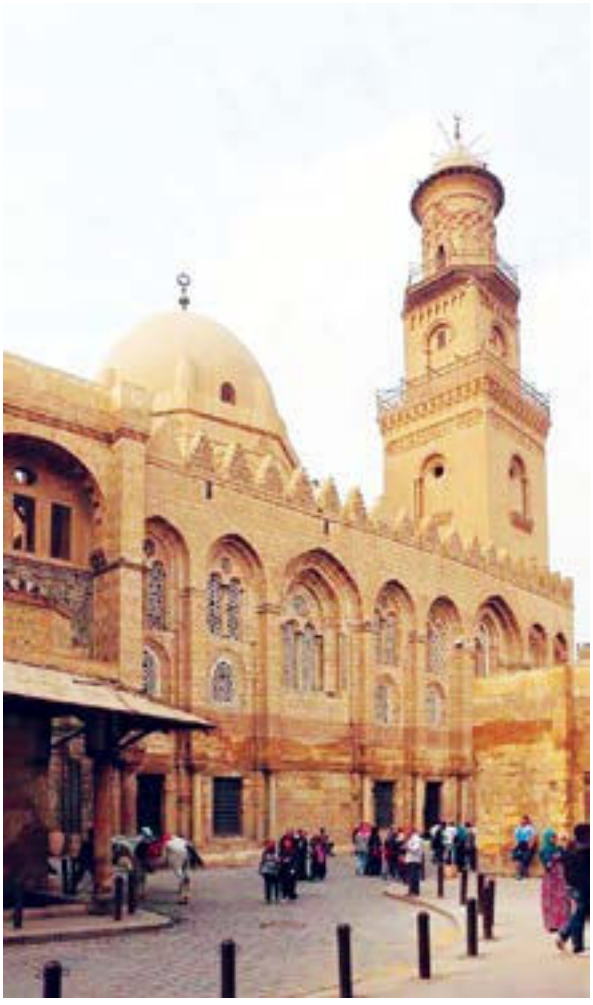

(لوحة ٢) مجموعة السلطان قلاوون.

ولا خيبةَ لمستخير، واستشرتُ فيه أهل المشورة ولا ندمَ لمستشير، واصلًا كل قبيلة من القبائل بقبيله، وملحقًا كل فرع من الفروع الحادثة بأصوله، مرتبًا له على حروف المعجم، ليكون أسهل لاستخراج قبائله، وأقرب إليه في الاقتطاف من تناوله»[٥١]، وهو بذلك يبحث في تراث مصر، إنسانًا وأعمالًا؛ بدءًا من تاريخ الأنساب.

ويذكر نسب المُؤَلَّفِ له كتاب نهاية الأرب ضمن ما ذكره القلقشندي من أنساب مرتبة على حسب حروف المعجم، بذكر كل ما يُعرف ببني أبان «حرف الألف: ما يقال فيه بنو فلان (الألف مع الباء الموحّدة) بنو أبان: بطن من بني أمية، من قريش، من العدنانية، وهم: بنو أبان ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية الأكبر. وأمية يأتي نسبه عند ذكره في هذه الحروف، وأبان هذا معدود في كبار التابعين... أبان بن عثمان، تابعي ثقة يروي عن أبيه وعن زيد بن ثابت وغيرهما، وروى عن جماعة. قال القاضي محب الدين الطبري في كتابه (الرياض النضرة في فضائل العشرة): «وعقبه كثير»[٥٢] ليضيف القلقشندي بعد تحريه، قلتُ: «هؤلاء هم عشيرة المعزّ الجمالي الموضوع له هذا الكتاب»[٥٣].

وقد صرح بمقصده قائلًا: «معرفة تفاصيل أنساب قبائل العرب فيه فصلان: الأول، عمود النسب النبوي، وما يتفرع عنه من الأنساب، أما الثاني، فذكر تفاصيل القبائل مرتبة مقفاة على حروف المعجم، وما يتهيأ ذكره من مساكنهم الآن»[٥٤]. هذا، وقد صرفتُ بتصريف والده أمور الدولة الشريفة، فَجَرَتْ على السداد... مع أنه قد أعرب في العرب العاربة نسبًا، وأعرب عن الانتماء إلى يعرب بن قحطان، فكرُم جدًّا... ونالت كمال الفخر، فكانت غُرّة قبائل اليمن[٥٥]، وأن أخدم خزانته العالية -عمّرها الله تعالى- بطول بقائه، وزاد في عُلاها بمزيد ارتقائه، بتأليفٍ أختصر فيه صبح الأعشى،... وسمّيته «ضوء الصُبح المُسْفِر وجَنَى الدَوْح المُثْمِر»، ورتّبتُه على نحوٍ من ترتيب أصله[٥٦].

كما يضيف القلقشندي لزوميّة كتابة الإنشاء إلى علم الأنساب: «وبعد، فلمّا كان العلم بقبائل العرب مِنْ لازم كتابة الإنشاء الذي أُهمل جانبه، وسكن لقلّة مُعانيه بعد الحركة ضارِبُه، ورُفض تداوله، حتّى قَلَّ مُعانيه، وعزّ طالبه[٥٧]، «وكان كتابي المسمّى «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب» قد احتوى مِنْ ذكر القبائل على الجَمِّ الغفير، وطَمَع في الاستكثار، فلم يكتفِ مِنْ ذِكر الشعوب باليسير، إلّا أنّ من القبائل المذكورة فيه ما أفنى عليها الزمان، وجُهِل حالها الآن في الوجود والعَدم، فلم تُعْرف لها أرض، ولم يُوقَف لها على مكان»[٥٨].

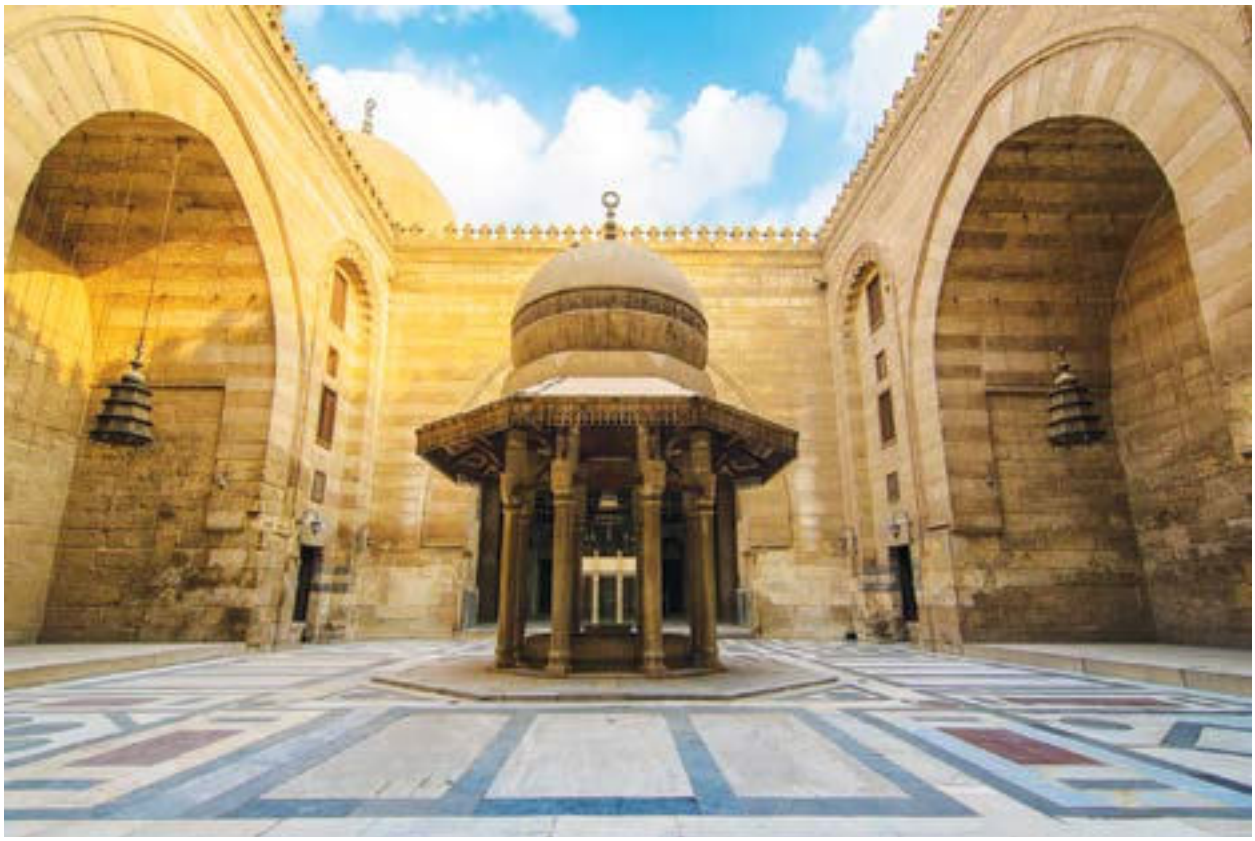

(لوحة ٣) مدرسة السلطان برقوق.

وصنّف القلقشندي في الطبقة الرابعة، أمراء العربان بنواحي الديار المصريّة، وذكر أصول أنساب العرب وقبائلهم، فقال: «واقتصرنا في «قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان» المُؤلَّف للمَقَرّ الأشرف الناصري البارزي، والد المَقَرّ الكمالي المؤلَّف له هذا الكتاب، على ذِكر الموجودين منهم الآن، والمقصود هنا، ذِكر أمراء العربان بالوجهين: البحري، والقبلي[٥٩]. أمّا العرب الذين هم المقصود مِنْ وضع هذا التأليف، فإنّهم على اختلاف قبائلهم وتباين شعوبهم، من ولدِ سام باتّفاق النَّسَّابين، فبعضهم يرجع إلى لاوذ بن سام، وبعضهم إلى إرم بن سام، وبعضهم يرجع إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد ابن سام، وبعضهم يرجع إلى مَدْيَن بن إبراهيم من ولد عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام»[٦٠].

والواضح أنّ النسب لا يقصد به القلقشندي نسب القبيلة فقط، بل نسب المهنة والحرفة أيضًا، لذلك يذكر ألقاب المشار إليهم دلالة على التبجيل، ومن ذلك قوله: «وكان المَقَرّ الأشرف العالي المَوْلَوِيّ القَاضَوِيّ الكَبِيْرِيّ النِّظَامِيّ المُدَبِّرِيّ السَّفِيْرِيّ اليَمِيْنِيّ المُشِيْرِيّ الأَصِيْلِيّ العَرِيْقِيّ الكَفِيْلِيّ النَّاصِرِيّ، نظام الملك، نجيّ السلطنة، لسان المملكة، مالك زمام الأدب، جامع أشتات الفضائل: أبو المعالي محمّد الجُهني البارزي الشافعي المؤيّدي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلاميّة، جمّل الله تعالى الوجود ببقائه، وأدام علوّه ولا رتبة في الرياسة فوق رتبته، فتعالى نسبًا، وزاد في ارتقائه...[٦١]. وكانت خِزانته العاليّة عَمّرها الله تعالى بدوام أيّامه، وأراه من محاسن جَمْعِها في اليقظة ما يمتنع أن يراه القاضي الفاضل في منامه، قد سعدتْ بإسعاد جُدوده، وخُصّت من نفائس التأليف بكلِّ نفيس، لا سيّما مصنّفات آبائه وجدوده، مع اشتماله من شريف النسب على الصفقة الرابحة، وتمسُّكه من الانتساب إلى العرب العاربة من بني قحطان بالكفّة الراجحة»[٦٢].

«أحببتُ أن أخدم جانب عُلاها بمصر في ذكر قبائل العرب المنتظم في سلك الزمان الآن وجودهم، والمحيطة بعُنق الآفاق في هذا العصر عقودهم، مُصدِّرًا له بذكر طرف من أنساب الأمم، ليتمّ بذلك منه الغرض، واصلًا نسبَ كلِّ أمّة منها بعَمود النسب المحمّدي، ليُعلم اتّصال الأمم بعضها ببعض، ذاكرًا كلَّ قبيلة وما فوقها من العرب، وما يتفرّع عنها من العمائر والبطون والأفخاذ، على اختلاف الأصناف والضروب، ذاكرًا مَقرَّ كلِّ قبيلة منها في القديم والحديث، مستندًا في ذلك إلى ما تضمّنته كتبُ الأنساب والتاريخ وكتب أسماء رجال الحديث، مُوردًا في خلال كلِّ قبيلة مَنْ كان منها مِن صحابي مذكور أو شاعر مُجيد أو فارس مشهور. على أنّي في ذلك كناقلِ التمر إلى هَجر، ومُمِدِّ البحر ببُلالة القطر ورَشْح الحجر، إذ كان المَقَرّ -خلّد الله تعالى

أيّامه- في معرفة الأنساب هو واسطة عِقدها الثمين، وجُهينة أخبارها، وعند جُهَينة الخبر اليقين، وسمّيته «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان»، وقد رتّبته على مقدّمة، ومقصدٍ وخاتمة»[٦٣].

وفي حديثة عن الخلافة ومآثرها ومآلها إلى الديار المصريّة ذكر القلقشندي صفات الخليفة الذي خدم خزانته بقوله: «... فكان لها (أي: الخلافة) بالبيت الحاكمي أحمدُ عُقْبى، واستأثرتْ من بقاياه بخير أمّة، فجرّتْ أذيالها... والخليفة الذي إن كان في الزمان متأخّرًا، فهو في الحقيقة مُقَدّمٌ، والسيّد الذي هو من آبائه الخلفاء الراشدين خيرُ خلفٍ، فمِن ولد المستكفي الأكْفَاء، ومن عَقب الحاكم الأحكم الإمام المعتضد بالله أبي الفتح داود أمير المؤمنين ابن الإمام المتوكّل على الله أبي عبد الله محمّد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، أيّد الله تعالى به الدين[٦٤]، أحببتُ أن أخدم خزانته العاليّة، بتأليفٍ في معالم الخلافة يشتمل على دقائق حقائقها، ويتكفّل بذكر لوازمها المستظرفيّة، ولواحقها مُحلِّيًا له من جواهر المناقب المعتضديّة بما يعلو به قدره، وتغلو به قيمته، ويرتفع به ذكره، ليسيرَ هذا التأليف بانتسابه إليه في الآفاق سَيْر المَثَل، ويُخَلَّدَ بذكر مناقبه الظريفة ذكرُه على مرِّ الدهور، وتعاقب الدول، وسمّيته: مآثر الإنافة في معالم الخلافة»[٦٥].

ويركّز القلقشندي على ذِكر العرب بين أصل التسمية والمصطلح، ففي الفصل الثاني، في بيان من يقع عليه اسم العرب، وذِكر أنواعهم، وما ينخرط في سلك ذلك «أمّا مَنْ يقع عليه اسم العرب، فقال الجوهري في صِحاحه: العرب من الناس، وهم أهل الأمصار، والأعراب سكان البادية. والتحقيق: أنّ اسم العرب يشمل الجميع، والأعراب نوع منهم، وأمّا أنواع العرب، فقد اتّفقوا على تنويعهم أوّلًا على نوعين: عاربة ومستعربة، فأمّا العاربة، فقال الجوهري: هم العرب الخُلّص»[٦٦].

وقال في كتاب (العِبر): وهم العرب الأُوَل الذين فهّمهم الله اللغة العربية ابتداءً، فتكلّموا بها، فقيل لهم: «عاربة»، إمّا: بمعنى الراسخة في العروبيّة، وإمّا بمعنى الفاعلة للعروبيّة والمبتدعة لها، لما كانوا أوّلَ مَنْ تكلّم بها. قال الجوهري: وقد يقال فيها: العرب العَرْباء. والمستعربة: الداخلون في العروبيّة بعد العُجمة أخذًا مِنْ استفعل، بمعنى: الصيرورة، نحو استنوق الجمل. قال الجوهري: وربّما قيل لهم: المُتَعَربة. ثمّ اختُلف في العاربة والمستعربة، فذهب ابن اسحاق والطبري إلى أنّ العاربة هم: عاد، ثمود، طَسَم، جَديس، أُميم، عَبيل، العمالقة، وعيد صخْم، وجُرْهم الأولى. والمستعربة: بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أُديس بن سام بن نوح عليه السلام، لأنّ لغة عابر كانت عجميّة، إمّا سريانية، وإمّا عبرانية، فتعلّم بنو قحطان العربيّة

(لوحة ٤) مدرسة السلطان حسن، عن ديفيد روبرتس.

من العاربة، ممّن كان في...، وتعلّم بنو إسماعيل فقط، والذي رجّحه صاحبُ العِبر الأوّل محتجًّا بأنّه لم يكن في بني قحطان من زمن نوح عليه السلام إلى عابر مَن تكلّم بالعربيّة، وإنّما تعلّموها نقلًا عمّن كان قبلهم من العرب، من عاد وثمود ومعاصريهم[٦٧]. ولذلك فيبدو أنّه كلّما كانت دلالة تلك اللغة شاملة عامّة يتداولها غالبية الناس ازدادت[٦٨]، وهو واقع اللغة العربيّة.

٤- الأنساب ونقل المَوْرُثات الحضارية المكتسَبة

انتقال الخلافة من بغداد إلى مصر رافقه انتقالُ مراسيمها وشرعيّتها. ومع استمرار تلك الخلافة في مصر اقتصر حديث القلقشندي على خلفاء بني العبّاس بالديار المصريّة من بقايا بني العبّاس، وأوّل من قام بأمر الخلافة بها المستنصر بالله، أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمّد، وذلك أنّه لمّا قتلَ التترُ المستعصمَ آخر خليفة عبّاسي، وبقيت الخلافة شاغرة نحوًا من ثلاث سنين ونصف، ثمّ قدِم جماعة من عرب الحجاز إلى مصر في رجب سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٢م) أيّام الظاهر بيبرس، ومعهم المستنصر بالله[٦٩]، فعرفت مصر خلفاء بني العبّاس بديارها، من حين انتقال الخلافة إليها وإلى زماننا هم: أحد عشر خليفة بدءًا بالمستنصر بالله: أبي القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمّد بن الناصر لدين الله، الذي بويع له بالخلافة بالديار المصريّة في رجب سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦١م)، وقام ببيعته السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب الديار المصريّة، وهو أوّل خليفة لقبُه لقبُ خليفةٍ قبله[٧٠].

ولإثبات شرعيّة الخلافة بعد تحوّلها إلى مصر ذكروا أنّه خرج من دار الخلافة ببغداد لمّا ملكها التتر، فعقد الملك الظاهر له مجلسًا حضره جماعة من العلماء، منهم: الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام شيخ الشافعيّة، وقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز الشافعي، وهو يومئذ قاضي الديار المصريّة بمفرده، وشهِد أولئك العرب بنسبه، ثمّ شهِد جماعة من الشهود على شهادتهم بحُكم الاستفاضة، وأثبت ابن بنت الأعزّ نسبه، ثمّ بايعه الملكُ الظاهر بالخلافة وأهلُ الحلِّ والعَقد، واهتمّ الملك الظاهر بأمره، واستخدم له عسكرًا عظيمًا توجّه الملك الظاهر إلى الشام وهو في صحبته، فجهّزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعًا في أن يستولي عليها، وينتزعها من التتار، فخرجوا إليه قبل أن يصل بغداد، فقتلوه وقتلوا غالب عسكره في العشر الأُوَل من المحرّم سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٣م)، فكانت خلافته دون السنة، وهو أوّل خليفة لُقِّب بلقب خليفة قبله، وكانوا قبل ذلك يلقّبون بألقابٍ مُرتجلة[٧١].

وفي كتاب «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» يضيف القلقشندي توضيحًا: «وكأنّه إنّما لُقِّب بذلك تفاؤلًا للاستنصار بالله على التتر»، مكرِّرًا ما قاله سابقًا من طريقة تحوّل الخلافة إليه: «...ثمّ بويع بالخلافة بعد ذلك، وبقي حتّى قتله التتر بالعراق، حين وجّهه الملك الظاهر إلى بغداد، لينتزعها منهم أواخر سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة»[٧٢]. ومدار كلّ كلام القلقشندي، إنّما هو على ذِكر أنّ النسب شرط أساسي لقيام الخلافة، فلا تنعقد الإمامة بدونه، «والمراد أن يكون من قريش، وهم: بنو كنانة»[٧٣]. وعليه فتحوّل الخلافة إلى مصر نقل معها تقاليدها التي كانت بها في بغداد، «ثمّ لم يزالوا على اقتفاء آثار الخلفاء قبلهم إلى الإمام الأعظم المعتضد بالله أبي الفتح داود خليفة العصر، فتوارد لقبُه مع لقب خليفتينِ قبله، وهما: المعتضد بالله أبو العبّاس أحمد ابن الموفّق طلحة بن المتوكّل على الله جعفر السابع عشر من خلفائهم بالعراق، والمعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان من خلفائهم بمصر، وهو جدّ الإمام المعتضد بالله لأبيه، ولم يتوارد أحدٌ من الخلفاء قبله مع غيره من الخلفاء العبّاسيّين على اللقب ثلاث مرّات سواه»[٧٤].

٥- علم الأنساب والتطور اللغوي

إنّ حركيّة الوافد على مصر من العرب وغيرهم أدّى إلى التأثير على اللسان، فكان على الكاتب أن يساير ذاك التطوّر، ويلتزم بشروط الكتابة التي تفرض نفسها عليه: «واعلم أنّه قد تقدّم في الكلام على اللغة في النوع الأوّل ممّا يحتاج إليه الكاتب أنّه ينبغي للكاتب أن يتعلّم لغةَ مَنْ يحتاج إلى مخاطبته أو مكاتبته من اللغات غير العربيّة، فكذلك ينبغي أن يتعلّم من الخطوط غير العربيّة ما يحتاج إليه من ذلك، ويؤيّد ذلك أنّ النبي ﷺ أمرَ زيدَ بنَ ثابت رضي الله عنه أن يتعلّم كتابَ يهود من السريانيّة أو العبرانيّة، فتعلّمها، وكان يقرأ على النبي ﷺ كتبهم، ويجيبهم عنه[٧٥]. فاللغة عمومًا توقيفيّة إصلاحيّة، فهي توقيفية في بداية عهدها، ثمّ بعد أن تطوّرت الحياة سايرت اللغة هذا التطوّر، فكان لا بدّ من التواضع والاصطلاح[٧٦].

وتجلّى ذلك في الرسوم في الكتب إلى أمراء العربان، وكذلك تأثُّر بعضهم بسلوك بعض: «اعلم أنّ المُكاتبين من العربان بديار مصر وبرقة واليمن والحجاز والشام والعراق والبحرين أممٌ لا يقدر فيهم على الاستيعاب، وإنّما تذكر جملًا كافية دالّة، فنقول: أمّا العرب بمصر في الوجهين القبلي والبحري، فجماعات كثيرة وشعوب وقبائل، لكنّهم على سعة أموالهم واتّساع نُطْق

جماعاتهم ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السّنام، إذ كانوا أهل حاضرة وزرع[٧٧]، وأنبههم أمراءُ أعراب البحيرة، وهم أشبه القوم بالتخلُّق بخلائق العرب في الحِلِّ والترحال يُغربون إلى القيروان وقابس، ويفدون على الحضرة السلطانيّة وفودَ أمثالهم من أمراء العرب»[٧٨].

وفي ذلك إشادة من القلقشندي بمدى التمازج بين الوافد والمحلّي في مصر، حتّى صار المجتمع واحدًا متجانسًا وهو ما طوّر اللغة، فالأعرابي كما ذكره السمعاني في كتاب الأنساب: «نسبة إلى الأعراب، منهم: المشهور بهذا الانتساب من بين سائر الأعراب، ومنهم: أبو عبد الله، محمّد بن زياد الأعرابي، مولى بني هاشم، صاحب اللغة، من أهل الكوفة وكان أحد العالمين باللغة والمشار إليهم في معرفتها، كثير الحفظ لها، وقيل: إنّه لم يكن في الكوفيّين أشبه برواية البصريين منه... فأمّا أبو عبد الله محمّد بن زياد الأعرابي، فكانت طرائقه طرائق الفقهاء والعلماء ومذاهب جلّة شيوخ المحدِّثين،... وأحفظ الناس للغات والأيّام والأنساب»[٧٩]. وهذا دليل يفسّر ثقافة الأعراب، ويتنبّأ بتأثيرهم في المجتمع المصري لغويًّا خاصّة.

ويذكر القلقشندي نقلًا عن ابن عباس «أنّ أوّل مَن وضع الحروف العربيّة ثلاثة رجال مِن بوْلانَ، وبولان: قبيلة من طَيِّئ نزلوا مدينة الأنبار، وهم مُرَامر بنُ مُرّة، وأسلمُ بنُ سِدرة، وعامر بنُ جَدَرَة، اجتمعوا، فوضعوا حروفًا مقطّعة وموصولة، ثمّ قاسوها على هجاء السريانيّة، فأمّا مُرامر: فوضع الصُّور، وأمّا أسلم: ففصل ووصل، وأمّا عامر: فوضع الإعجام. ثمّ نُقل هذا العلم إلى مكّة، وتعلَّمه مَن تعلّمه، وكثُر في الناس وتداولوه[٨٠]. فاللغة هي: الألفاظ التي تصدر عن الفرد والجماعة مؤدّية معنًى من المعاني، فهي سلوك لفظي لدى الأفراد والجماعات»[٨١].

ومن صفات اللفظ الفصيح سلامتُه من الغرابة عند أهل اللُّسْن من العرب كقريش وغيرهم، وهو لقلّة استعماله عندهم ليس بفصيح، بخلاف ما كان غير غريب عندهم، ثمّ صار غريبًا بالنسبة لمن بعدهم، فإنّه فصيح وإلّا لزم أن يكون جميع ما في كتب غريب القرآن والحديث غير فصيح[٨٢]. أمّا المستوحش عند قوم دون قوم ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة لأهل الحضر، فإنّ أهل الحضر يألفون السهل من الكلام، ويستعملون الألفاظ الرقيقة، ولا يستعملون الغريب إلّا في النادر، وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل، ويميلون إلى استعمال الغريب المتوحِّش، وإذا نظرتَ إلى كلام أهل مكّة وكلام قريش وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز علمتَ فرْق ما بين الكلامين، وتباين ما بين الطرفين، حتّى كان البادي يرطُن بالنسبة إلى الحاضر، ويتكلّم بلغة غير العربيّة[٨٣]. وهذا ما يحدث بالتقاء الأمم في مصر، بين عرب وعجم، وقد انقادت اللغات كلّها للغة العرب، فأقبلت الأمم إليها يتعلّمونها[٨٤].

والفصيح من اللغة عند القلقشندي عبّر عنه في قوله: «واعلم أنّ اللغة العربيّة قد تنوّعت، واختلفت بحسب تنوّع العرب واختلاف ألسنتهم، والذي اعتمد حُذاق اللغة وجهابذة العربيّة مِن ذلك ما نطق به فصحاء العرب، وهم الذين حلوا أوساط بلاد العرب، ولم يخالطهم مَنْ سواهم من الأمم كثير مخالطة، ولم يُصاقبوا بلاد العجم، فبقيت ألفاظهم سالمة من التغيير والاختلاط بلغة غيرهم: كقريش، وهُذيل، وكنانة، وبعض تميم، قَيس... ونحوهم من عرب الحجاز وأوساط نجد، بخلاف الذين حلّوا في أطراف بلاد العرب، وجاوروا الأعاجم، فتغيّرت ألفاظهم بمخالطتهم: كحمير، وهَمْدان، وخَوْلان، والأزْدَ، لمجاورتهم بلاد الحبشة وطَيِّئ، وغسّان لمجاورتهم بلاد الروم بالشام، وبعض تميم وعبد قيس لمجاورتهم أهل الجزيرة وفارس. واعلم أنّ التغيير يدخل في لغة العرب من عدّة وجوهٍ، منها: أن تُبدِّل كلمةً بغيرها، كما يستعمل أهل اللغة الحِميريّة «ثِبْ» بمعنى: «اجلس»، وهي في عامّة لغة العرب للأمر بالطَّفْرة، ومنها أن يُبدِّل حرفًا من الكلمة بحرف آخر»[٨٥].

والواضح أنّ القلقشندي يستثني أهل مصر من ذاك التأثير الذي يُدْخل اللحن على ألفاظهم: «والناس في ذلك كلّه بحسب البلاد وأهلها، ألا ترى أنّ العرب وإنْ تغيّرت ألسنتهم بمخالطة مَنْ عداهم، فإنّهم لا يخلو كلامهم من مُوافقة الإعراب في بعض الكلام والجرْي على قواعد العربيّة خصوصًا عرب الحجاز وأهل البادية منهم[٨٦]... فأهل مصر لا يحتاجون إلى هذه العلوم، وأنّهم يدْرونها بالطبع... ولقد أحسن السبْكي -رحمه الله- في بيان السبب والتعويل في انجبال أهل مصر على هذا العلم على علاقة الصِّهْر والنسَب»[٨٧]. واستنتاج القلقشندي هذا ليس غريبًا، لأنّه يتتبع كلَّ فنٍّ من فنون المكاتبات التي تصدر عن ديوان الإنشاء في كلِّ بلدٍ من بلاد الإسلام كالعراق والشام ومصر والحجاز. ثمّ لا يكتفي بذلك، حتّى يصف ما كان من أمر هذه الفنون الكتابيّة كلّها في بلاد المغرب والأندلس، ونجد في الكتاب بيانًا لحال اللغة العربيّة في عصورها المختلفة[٨٨].

ويشير أحد الدارسين إلى أنّ الريف هو الذي استقبل العدد الأكبر من البدو، فصار البدو على المدى الطويل وبعد تحضرهم فلاحين أصلاء، فهم من هذا الواقع قد عرّبوا البلاد، بإعطائها لغة أخرى هي العربيّة، التي حلّت تمامًا محلّ القبطية كلغة للتخاطب في بداية القرن التاسع الميلادي، كما أسهم البدو في أسلمة مصر بتشكيلهم كتلةً كبيرة من المسلمين، فقد كان الإسلام دين البدو، كما كان دين الحكّام[٨٩].

٦- حُكّام مصر والوظائف وتفعيل الأنساب

كان لحُكّام مصر نصيب كبير في خدمة علم الأنساب، الذي كان كاتب الإنشاء يحتاج إلى الأخذ بتفصيله، ويضطرّ إلى معرفة تفريعه وتأصيله مَن يضمّه نطاق مملكة الديّار المصريّة مِن عُربان الزمان، ومَن يُكاتب على أبواب سلطانها أو تدعو الحاجة إلى خطابه في حينٍ أو أوانٍ، مع مَن يتعلّق بأذيال قبائلهم ممّن لم يَبْلُغ رتبة الخطاب، أو ينتمي إليهم بمحالفةٍ أو يعتزي إلى قبيلهم بعَلاقة سببٍ من الأسباب[٩٠]. وتجلّى ذلك في الوظائف المعتبرة عندهم، فكانت على ضربين، الضرب الأوّل: أرباب السيوف، وهي عدّة وظائف، ومنها: الوزارة، ومنها الحجابة، ومنها ولاية المظالم، ومنها النقابة على ذوي الأنساب كالطالبيِّين والعبّاسيِّين ومَنْ في معناهم، كما في نقابة الأشراف الآن بالديار المصريّة وأعمالها، وكانت لديهم من وظائف[٩١] أرباب السيوف، ولذلك استُصحب هذا المعنى في نقيب الأشراف الآن فيُكتب في ألقابه الأميريُّ[٩٢]، وهو بياء النسبة.

أمّا الوظيفة السادسة، فهي النقابة على ذوي الأنساب كنقابة الطالبيِّين ومَن في معناهم، على معنى نقابة الأشراف في زماننا من الوظاف التي تصدُر عن الخليفة[٩٣]. ويورد القلقشندي خبرًا في سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م) جرى كلام في حقِّ الأشراف العلويين، بسبب أنّ بعض الأمراء وقع في حقِّ أحدهم، وزعَم أنّه لم يعرف كونه شريفًا، فأمر السلطان الأشراف بالديار المصرية أن يجعل كلُّ واحدٍ منهم في عمامته عِصابةً خضراءَ من صوفٍ أو حريرٍ أو غير ذلك مستديرةً على بعض لفّات العمامة ليمتازوا عن غيرهم[٩٤].

والظاهر أنّ حكّام مصر قد تدارسوا تاريخ وسياسة فاتح مصر «عمرو بن العاص» ﷺ، فذكر القلقشندي كلامًا فيه تمييز: «أمّا الخِطط والآدُرُ التي عُرفت بالقبائل والجماعات، فمنها خِطّة أهل الراية، وهم: جماعة من قريش، والأنصار، وخُزاعة، وأسْلم، وغِفار، ومُزَيْنة، وأشْجع، وجُهينة، وثقيف، ودَوْس، وعَبْس بن بَغيضٍ، وجُرش، من بني كنانة، ولَيْث بن بكر، لم يكن لكلٍّ منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان، فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحدٍ، وقال: «يكون وقوفكم تحتها»، فكانت لهم كالنَّسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فعُرفوا بأهل الراية، وانفردوا بخِطّةٍ وحدَهم، وخِطّتهم من أعظم الخِطط وأوسعها»[٩٥].

ويعتزُّ القلقشندي بمكاسب مصر حين انتقال الخلافة إليها، لما في ذلك من تأثير إيجابي على سلوك الفرد والجماعة، وتطبيقًا لشرع الله، ووقوفًا عند حدوده: «... أحمده على أنْ رفع قدر الديار المصريّة بنقل الخلافة المقدّسة إليها، وقدّمها على سائر الممالك، فأمست ومدارها في المُهمّات عليها، فلمّا كانت الخلافة هي حظيرة الإسلام ومحيط دائرته، ومَرْبَع سائمته، بها يُحفظ الدين ويُحْمى، وتُصان بيضة الإسلام، وتسكن الدهماء، وتقام الحدود، فتُمْنع المحارم عن الانتهاك، وتُحْفظ الفروج، فتُصان الأنساب عن الاختلاط والاشتباك، وتُحَصَّن الثغور فلا تُطْرق، ويذاد عن الحرم... لا سيّما الخلافة العبّاسيّة التي هي واسطة عِقدها، وخلاصة سَبْكها، وخالص نقدها، وغاية طلبها... وكانت قد فَوّضت إلى الديار المصريّة خيامها، فاستغْنت بها عن السِّوَى»[٩٦].

واهتمّ القلقشندي بالكُنى والألقاب؛ كونها تدخل في باب التبجيل والتعظيم، وهو ما كان في خلافة بني العبّاس، ثمّ انتقل إلى مصر كذلك صداه «أمّا كيفية النسبة إلى الخليفة، فيقال: خَلَفي (بفتح الخاء واللام)، أمّا ما يقع على الخليفة من الكُنية، فلم تزل الكُنى جاريةً على الخلفاء من بدء الخلافة وهلم جرًّا، جرْيًا في ذلك على عادة العرب في الاهتمام بشأن الكُنية والاعتناء بأمرها ومخاطبة أهل الفضل ومَن قاربهم بالكُنية، وكذلك إنْ كَتب إلى أحدٍ منهم رسالة أو روى عنه رواية، وقد كان الأُوَل أكثر ما يعظّم بعضهم بعضًا في المخاطبات والمكاتبات ونحوها بالكنى، ويرون ذلك في غاية الرفعة ونهاية التعظيم»[٩٧].

وشرح القلقشندي المقصد في الألقاب المفَرَّعة الأصول المتقدِّمة، وهي نوعان، الأوّل: الألقاب المفردة، وهي إمّا مجرّدة عن ياء النسب أو غير مجردة، فأمّا المجردة عن ياء النسب، فكالسلطان والملك والأمير والقاضي والشيخ والصدر والأجلّ والكبير والعالم والعاهل، وما أشبه ذلك. وأمّا غير المجرّدة، وهي الملحقة بها ياء النسب كالملكي والأميري والقَاضَوِي والشَّيْخِي والصَّدْرِي والأَجَلي والكَبِيْري والعالمي والعاملي، ونحو ذلك. ثمّ الألقاب الملحقة بها ياء النسب تارةً يُراد بالنسب فيها النسب الحقيقي كالقضائي، لأنّه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة، وتارة يراد به المبالغة كالقاضوي، لأنّه منسوب إلى القاضي نفسه مبالغة، وفي معناه الأميري؛ نسبة إلى الأمير، والوزيري؛ نسبة إلى الوزير، والشيخي؛ نسبة إلى الشيخ، والكبيري؛ نسبة إلى الكبير، وما أشبه ذلك. والأصل فيه أنّ عادة العرب أنّهم إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب للمبالغة، فيقولون: في الأحمر؛ الأحمري مبالغة في وصفه بالحُمرة...، وبكلِّ حالٍ، فالألقاب التي تُثَبَت ياء النسب فيها كالأميري أعلى من المجرّدة عنها[٩٨].

كما كان التأثير من بلاد الغرب الإسلامي، ففيما نقله القلقشندي عن القضاعي قال: بعد ذكر حدود مصر الأربعة، وما كان بعد هذا من الجانب الغربي، فهو من فتوح أهل مصر

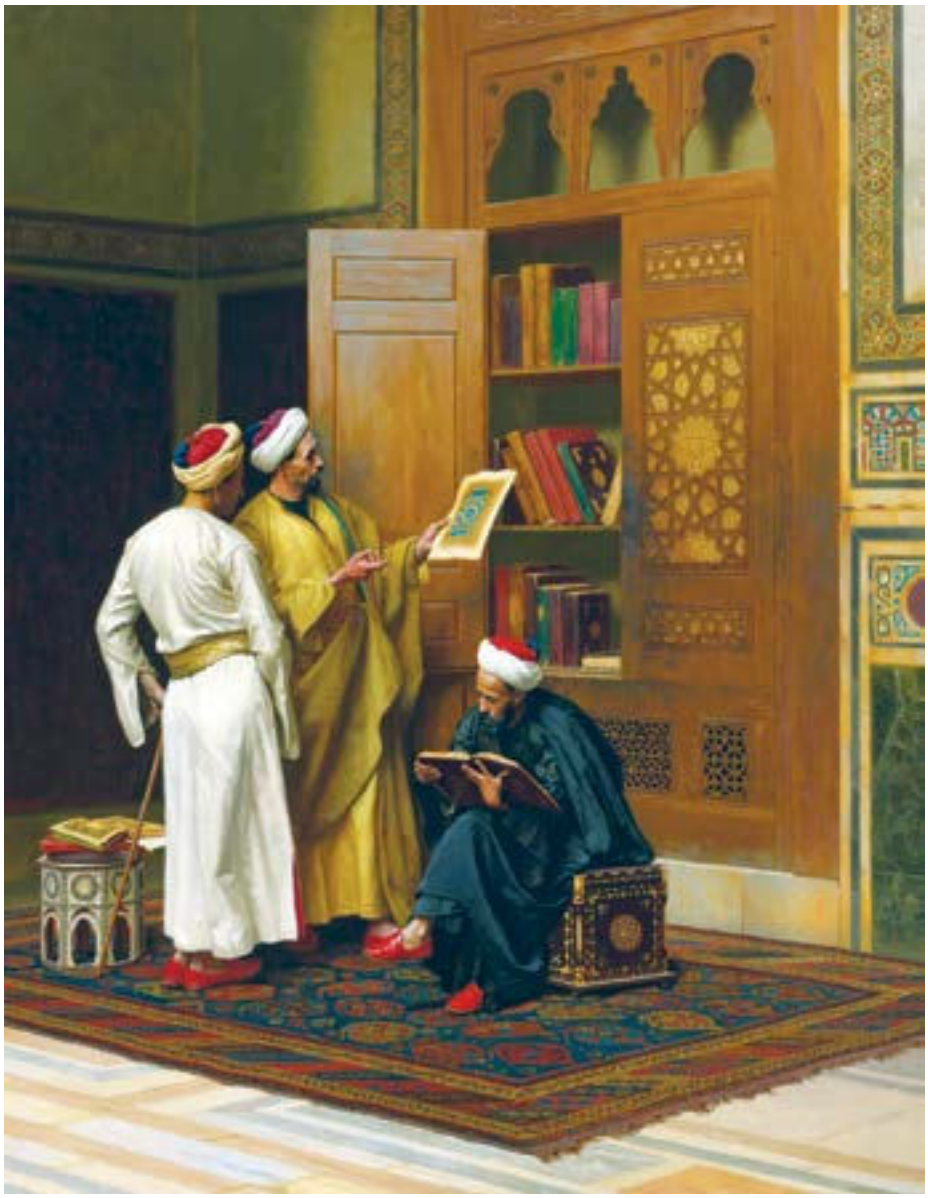

(لوحة ٥) طلاب العلم، عن ديفيد دويتش.

وثغورهم من برقة إلى الأندلس قلتُ: «وذلك أنّ المسلمين بعد فتح مصر توجّهت طائفة منهم إلى إفريقيّة، ففتحتها، ثمّ توجّهتْ طائفةٌ من إفريقيّة إلى الأندلس ففتحته»[٩٩]. ويشير إلى التجلّي المادي القائم بمصر، حتّى زمانه: «أمّا أبواب القاهرة وأسوارها، فإنّ القائد جوهر[١٠٠] حين اختطّها جعل لها أربعة أبواب: بابين متقاربين، وبابين متباعدين، فالمتقاربان (بابا زويلة؛ نسبة إلى زُويلة قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب، ولذلك يقع في عبارة الموثّقين، وغيره بابا زويلة»[١٠١]، وهذا ما يعمّق الثقافة، كونها فكر مجموعة معينة من الأفكار وعقيدتهم ومشاعرهم، أمّا العلاقات الاجتماعيّة، فهي ما يفعله الأفراد من أنظمةٍ وسلوكيّاتٍ يشكّلها المجتمع لهم، وأمّا المجتمع، فيتكوّن من الأنماط السلوكيّة للأفراد والتفاعلات التي تجري فيما بينهم[١٠٢].

واهتمّ القلقشندي بمواقع توطُّن القبائل العربيّة والبربريّة في مصر، فقال: «وأمّا الوجه القبلي، ففي عمل الأشمونين، وقد ذكر الحمداني أنّ الإمرة فيه في بني تغلب من السلاطنة، وهم أولاد بني جحيش، من الجيادرة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، من عقب الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب ﷺ. وكانت منازلهم بذروة سربام، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب... أمّا الآن، فمذ وَجّهت هوارة من البربر وَجْهَها إلى الوجه القبلي مدّت رِواقها على الصعيد بأسره، واستقرّت آخرًا في بيتينِ، أحدهما: أولاد (عمر محمّد) وإخوته، ومنازلهم بمنشاة أخميم وما والاها من الأعمال القوصيّة. والثاني: بنو غريب، بدهروط من البهنساويّة وما أضيف إليها، وكلٌّ من أمراء البيتين يُكاتب عن الأبواب السلطانيّة»[١٠٣].

وهذا ما يفسّره ابن خلدون في أنّ كلّ حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابةً واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضًا عصبيات أخرى لأنساب خاصّة هي أشدُّ التحامًا من النسب العام لهم، مثل: عشير واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أبٍّ واحد لا مثل بني العمِّ الأقربين أو الأبعدين، فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون مَنْ سواهم من العصائب في النَّسب العام. والنَّعرة تقع من أهل نَسبهم المخصوص، ومن أهل النَّسب العام، إلّا أنّها في النسب الخاص أشدُّ لقُرب اللُّحمة، والرياسة فيهم إنّما تكون بالغَلَب[١٠٤].

٧-القبائل العربيّة والمكتسَب النَّسَبي

الاهتمام بعلم الأنساب من شأنه حماية التعارف بين الناس، حتّى لا يعتزي أحد إلى غير آبائه، ولا ينتسب إلى سوى أجداده، وعلى ذلك تترتّب أحكام الوَرَثة فيحجب بعضهم بعضًا، وأحكام الأولياء في النكاح فيُقدَّم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف إذا خصَّ الواقفُ بعضَ الأقارب أو بعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في بعض الدِّيَة حتّى تُضرب الدِّيَة على بعض العَصَبات دون بعض، وما يجري مجرى ذلك، فلولا معرفة الأنساب لَفَاتَ إدراك هذه الأمور وتعذَّرَ الوصول إليها[١٠٥].

ومن شأنه أيضًا مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة، فقد ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ راعى في المرأة الحسب، وهو الشرف في الآباء. ومن شأنه كذلك التفريق بين جريان الرقّ على العجم دون العرب على مذهب مَن يرى ذلك من العلماء، وهو أحد القولين للشافعي ﷺ[١٠٦]، فإذا اشتمل النسب على طبقتين فأكثر كهاشم وقريش ومُضر وعَدنان جاز لمن في الدرجة الأخيرة من النَّسب أن ينتسب إلى الجميع، فيجوز لبني هاشم أن ينتسبوا إلى هاشم وإلى قريش وإلى مُضَر وإلى عدنان، فيقال في أحدهم: «الهاشمي»، ويقال فيه: «القرشي»، و«المُضَري»، و«العَدْنَاني»[١٠٧]. وتُعد من ذلك ظاهرةُ البُيُوتات في مصر، مثل: بيت البارزي، وغيره.

وإذا كان الرجل من قبيلة، ثمّ دخل في قبيلة أخرى جاز أن ينتسب إلى القبيلة الأولى، وأن ينتسب إلى القبيلة التي دخل فيها، وأن ينتسب إلى القبيلتين جميعًا، مثل: أن يقال: «التميمي» ثمّ «الوائلي، أو «الوائلي» ثمّ «التميمي»، وما أشبه ذلك[١٠٨]. وهذا راجع إلى طبيعة العصر وإدراكه الصراع القائم بين الأقليّة الأجنبيّة المحتلّة من (أتراك وجراكسة ومغول وإفرنج) وأكثريَّة محكومة هم العرب، وخوفه من أنصار هذه العناصر مع البيوتات العربيّة، بفعل الاختلاط والتزاوج، وما يترتّب على ذلك من أمورٍ شرعيّة، منها: معرفة صراحة النسب، حتّى لا ينتسب أحدٌ إلى غير آبائه، وما يترتّب على النسب من أحكام الوراثة وأحكام الأولياء في النكاح، وعدُّ النسب في كفاءة الزوج للزوجة في النكاح، وجريان الرق على العجم دون العرب، واعتزازه بانتسابه للأمّة التي شرّفها الله بالنبوّة، وتأكيده دور العرب الحضاري والإنساني، وتقديمه كُتُبَه هدايا لعرب[١٠٩]. وكلُّ هذا يوحي بأنّ هدف القلقشندي من دراسة علم الأنساب هو الانتصار للنسب العربي، والدليل أنّه قدّم كتبه هدايا لشخصياتٍ عربيّة.

ومن الموضوعات ذات الصلة بعلم الأنساب التى اهتم بها القلقشندي نقابةُ الأشراف، وموضوعها: التحدُّث على ولد علي ابن أبي طالب ﷺ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ في الفحص عن أنسابهم والتحدّث في أوقافهم، والأخذ على يد المتعدِّي منهم، ونحو ذلك. وكانت في الزمن المتقدِّم في الدولة العبّاسيّة هذه النقابة تقع على نقابة الطالبيين[١١٠]. ومنها أيضًا المواريثُ الحَشْرِيَّة، وموضوعها: التحدُّث على ديوان المواريث ممّن يموت ولا وارث له، أو له وارث لا يستغرق ميراثه، مع التحدُّث في إطلاقات جميع الموتى من المسلمين وغيرهم[١١١].

وتجلّى ذلك في مضمون وصيّة نقيب السادة الأشراف: «ونحن نُجِلُّك عن الوصايا إلّا ما نتبرّك بذكره، ويسرك إذا اشتملت على سرِّه، فأهلَك أهلَك؛ راقب الله ورسولَه جدَّك ﷺ فيما أنت عنه من أمورهم مسئول، وارفُق بهم فهُمْ أولاد أمِّك وأبيك: حَيْدَرة والبَتُول، وكُفَّ يدَ مَن علمتَ أنّه قد استطال بشرفه فمدَّ إلى العناد يدًا. واعلم بأنّ الشريف والمشروف سواءٌ في الإسلام إلّا من اعتدى... وانظر في أمور أنسابهم نظرًا لا يدَعُ مجالًا للريب، ولا يستطيع معه أحد أن يدخل فيهم بغير نسبٍ، ولا يخرج منهم بغير سببٍ، وساوِقِ المتصرِّفين في أموالهم في كلِّ حسابٍ، واحفظ لهم كلَّ حسب[١١٢].

وفي ولاية النّقابة على ذوي الأنساب، وهي نقابة موضوعة على صيانة ذوي القُربى والأنساب الشّريفة عن ولاية مَن لا يكافئهم في النّسب ولا يساويهم في الشّرف، ليكون عليهم أحبى، وأمرُه فيهم أمضى. وروي عن الرّسول ﷺ أنه قال: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُم، تَصِلُوا أَرحَامَكُم، فَإِنَّه لَا قُرْبَ بالرَّحِم إذا قُطِعَتْ وإنْ كانَتْ قريبَة، ولا بُعْدَ بِهَا إذا وُصِلَتْ وإن كانت قريبة». وولاية النّقابة هذه تصحُّ من إحدى ثلاث جهات، إمّا من جهة الخليفة المستولي على كلِّ الأمور، وإمّا ممّن فوَّضَ الخليفةُ إليه تدبيرَ الأمور كوزير التفويض وأمير الإقليم، وإمّا مِن نقيبٍ عامٍّ الولاية استخلفَ نقيبًا خاصَّ الولاية، فإذا أراد المَوْلَى أن يُوَلِّيَ على الطالبيِّين نقيبًا أو على العبَّاسيِّين نقيبًا تخيَّرَ منهم أجلّهم بيتًا وأكثرهم فضلًا وأجزلهم رأيًا، فيُوَلّي عليهم، لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة، فيسرعوا إلى طاعته برياسته، وتستقيم أمورهم بسياسته.

(لوحة ٦) الصلاة في القاهرة، عن ليون جيروم.

والنّقابة على ضربين: خاصّة وعامّة، فأمّا الخاصّة، فهو أن يقتصر بنظره على مجرّد النّقابة من غير تجاوزٍ لها إلى حكم وإقامة حدٍّ، فلا يكون العلم معتبرًا في شروطها. ويلزمه في النّقابة على أهله من حقوق النّظر اثنا عشر حقًّا:

١- حفظ أنسابهم مِن داخلٍ فيها وليس منها، أو خارجٍ عنها وهو منها، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الدّاخل فيها، ليكون النَّسب محفوظًا على صحَّته، معزوًّا على جهته.

٢- تميز بطونهم ومعرفة أنسابهم، حتّى لا يخفى عليه منهم بسنوات، ولا يتداخل نسبٌ في نسب، ويثبتهم في ديوانه على تميّز نسبهم.

٣- معرفة مَن وُلد منهم مِن ذكر أو أنثى فيُثبته، ومعرفة مَن مات منهم فيذكره حتّى لا يضيع نسب المولود، إن لم يثبته، ولا يَدَّعي نسبَ الميِّت غيرُه إن لم يذكره.

٤- أن يأخذهم بالآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدِّهم، لتكون حشمتهم في النُّفوس موفورة وحرمة رسول الله ﷺ فيهم محفوظة.

٥- أن يُنزهّم عن المكاسب الدّنيئة، ويمنعهم من المطالب الخبيثة حتّى لا يُستقلَّ منهم مُبتذل ولا يُستضامَ منهم متذلِّل.

٦- أن يكفّهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدّين الّذي نصروه أغْير، وللمنكر الّذي أزالوه أنكر، حتّى لا ينطلق بذمِّهم لسان ولا يشنأهم إنسان.

٧- أن يمنعهم مِن التّسلُّط على العامّة لشرفهم، والتشطط عليهم لنسبهم، فيدعوهم ذلك على المقت والبغض، ويبعثهم على المناكرة والبعد، ويندبهم على استعطاف القلوب وتأليف النّفوس، ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب إليهم أصفى.

٨- أن يكون عونًا لهم في استيفاء الحقوق حتّى لا يضعفوا عنها، وعوْنًا عليهم في أخذ الحقوق منهم حتّى لا يُمنعوا منها، ليصيروا بالمعونة منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين، فإن عدل السِّيرة فيهم إنصافهم وانتصافهم.

٩- أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامّة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الّذي لا يختصُّ به أحدهم، حتّى يقسّم بينهم بحسب ما أوجبه الله تعالى لهم.

١٠- أن يمنع أَيَامَاهم أن يتزوَّجنَ إلا من الأكْفاء لشرفهنّ على سائر النّساء، صيانةً لأنسابهنّ وتعظيمًا لحرمتهنّ أن يُزَوِّجَهُنَّ غيرَ الولاة أو يُنْكِحَهُنَّ غيرَ الأكْفاء.

١١- أن يُقَوِّمَ ذوي الهَفَوَات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حَدًّا، ولا ينهر به دمًا، ويُقيل ذو الهيئة منهم عثرتَه، ويغفر بعد الوعظ زلّته.

١٢- مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها، وإذا لم يُرَدَّ إليه جبايتها راعى الجباةَ لها فيما أخذوه، وراعى قسمتَها إذا

قسَّموه، وميَّز المستحقِّين لها إذا خُصَّت، وراعى أوضاعَهم فيها إذا شُرطت، حتّى لا يخرج منهم مستحقٌّ ولا يدخل فيها غيرُ مُحِقٍّ[١١٣].

ولم تقتصر المحافظة على حقوق ذوي الأنساب على ما ذكره القلقشندي والماوردي (٤٥٠هـ/ ١٩٥٩م)، بل كان الحديث عنها أيضًا زمن حكم الأيوبيّين، فقد ذكر ابن مماتي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) عدة مِن يرثون من الرجال، وهم خمسة عشر: الابن، وابن الابن وإن سفل، والأب، والجدّ وإن علا، والأخ للأب والأم، والأخ للأب، والأخ للأم، وابن الأخ للأب والأم، وابن الأخ للأب، والعمّ للأب والأم، والعم للأب، وابن العمّ للأب

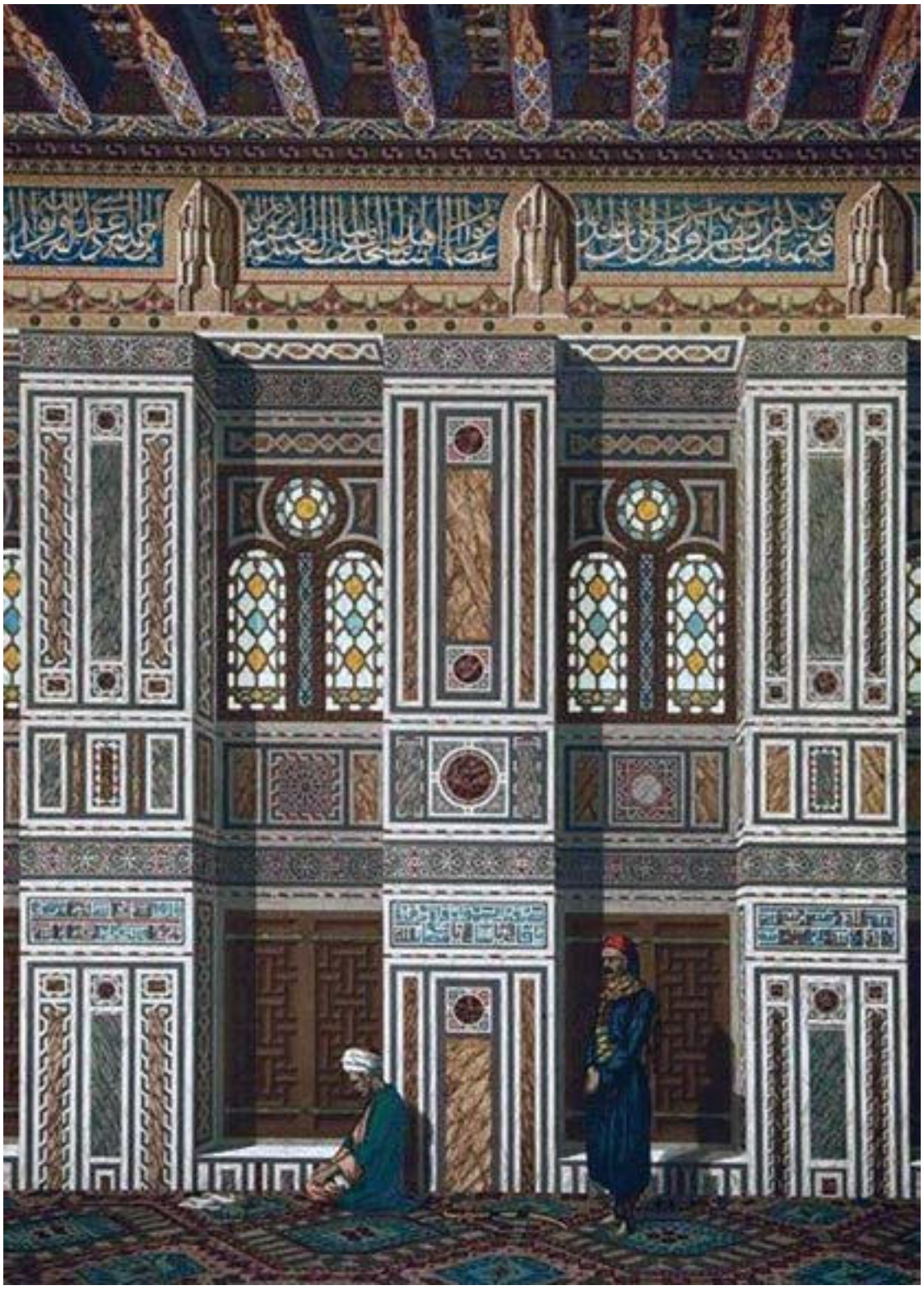

(لوحة ٧) جامع البرديني، عن بريس دافن.

والأم، وابن العمّ للأب، والزوج، والمَوْلَى المُعْتَق. وذكر الوارثات من النساء، وهنَّ إحدى عشرة: البنت، وبنت الابن وإن سفل، والأم، والجدّة من الأمّ، والجدّة مِن قِبَل الأب، والأخت للأب والأمّ، والأخت للأب، والأخت للأمّ، والزوجة، والمَوْلَاة المُعْتَقَة، ومَوْلَاة المَوْلَاة[١١٤]. وكلُّ هذا يشجِّع على الاهتمام بعلم الأنساب والاعتناء به، لما يترتب عليه من آثار وأحكام خاصة وعامة.

خاتمة

- وعليه، فإنّ الاهتمام بعلم الأنساب ضرورة واختيار في الوقت نفسه، لما له من أهميّة في كشف الحقائق عن نقاوة النسل من جهة، والمحافظة على المآثر من جهة أخرى.
- المجتمع المصري كان مُرحبًا بكلِّ الوافد، في كلِّ العصور، وهو بذلك يثبت أنّه مجتمع مضياف، وتجلّى ذلك من خلال ظهور بُيوتاتٍ في مصر لها أصول عربيّة مختلفة، استطاعت أن تصل إلى مناصب مرموقة في حكم مصر، في القاهرة أو في صعيد مصر.
- امتزاج المجتمع المصري نَسبًا بغيره عدَّدَ العادات والتقاليد، وجعل مصر مركزًا محوريًّا للانتقال منها وإليها، من الغرب والمشرق الإسلاميّين نتيجةً لتوزُّع فروع القبائل العربية والبربريّة بين الناحيتين.
- القلقشندي أظهر أنّ علم الأنساب لا يخصّ فقط النسل، بل يخصّ كذلك العادات والتقاليد والمهن، والمكتسب عمومًا، فضلًا عن تطوّر اللغة العربيّة وانتصاراتها أمام لغة القِبْط وغيرهم ممّن يسكن مصر.
- دراسات القلقشندي عن الأنساب كشفت حقائقَ جديدة، إذ أكمل مسيرةَ مَنْ درس هذا العلم قبله، وتحرّى مواطن وجود تلك القبائل في زمانه.
- الاعتزاز الواضح بالعنصر العربي وتاريخه في مؤلّفات القلقشندي.
- فتح القلقشندي بابًا علميًّا جديدًا يتمثّل في ضرورة الاهتمام بخزائن الكتب والمخطوطات، وعلم المكتبات عمومًا، وعلم المُعجميّة، واللسانيّات، وغيرها.

الهوامش

* أستاذة محاضرة صنف «أ» – جامعة: الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، دولة الجزائر.

(١) في العمل الثاني القليوبية: مدينة قَلْيُوب: موقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، ولم يتحرّر لي طولها وعرضها، غير أنّها من القاهرة في جهة الشمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة، قلت: «ومن بلادها بلدتنا «قلقشندة»، وهي بلدة حسنة المنظر، غزيرة الفواكه، وإليها يُنسب الليث بن سعيد، الإمام الكبير»، انظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ ه)، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٢): ٤٠٣؛ أمّا القليوبيّة: فهي عملٌ حسن القرى، كثير البساتين، غزير الفواكه. ومقرُّ الولاية به مدينة قَلْيُوب، وهي من القاهرة على دون نصف مَرْحَلَة ومن بلاده بلدتنا قلقشندة، قال ابن خلّكان: بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر، وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة، وإليها يُنسب الليث بن سعد، الإمام الكبير. قال ابن يونس في تاريخه: أنّه ولد بها، ثمّ قال: وأهل بيته يذكرون أنّ أصله من فارس، وليس لما يقولونه إثبات عندنا، انظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ ه)، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر: مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، تصحيح محمود سلامة (مصر: مطبعة الواعظ، ١٩٠٦): ٣٣٧، ٢٣٨.

(٢) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢ ه)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٢ (بيروت: دار الجيل، د.ت): ٨.

(٣) أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩ ه)، **شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمّد الأرناؤوط، مج. ٩ (دمشق: دار ابن كثير، [١٩٩٣]): ٢١٨، ٢١٩.

(٤) رزاق حسين هاشم العميدي، «شهاب الدين القلقشندي، دراسة في التراث الجغرافي العربي»، **مجلّة جامعة كربلاء العلميّة** ١٦، العدد ٣ (٢٠١٨): ٢٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ ه)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط. ٢، مج. ١ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠): ٣٨٩.

(٧) المراد بالمصطلح الشريف: مصطلح الكتابة الديوانيّة والقوانين التي تُراعى في المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء، وهذه القواعد أو القوانين تشكّل رسومًا يجب مراعاتها بدقّة، وأحيانًا بدقّة متناهية في افتتاح الكتب وخواتمها، وفي صِيغ الخطاب، وفي الألقاب، وتمتدّ لتشمل أحيانًا ترتيب الكتب، ونوع الورق المستعمل وقطْعه، والأقلام والخطوط، إلى ما هنالك من كلّ صغيرة وكبيرة تتعلّق بالمراسلات. وقد أطلق على هذه الكتب التي أُلّفت في هذا الموضوع اسم «الدساتير»، ولم تكن هذه الدساتير بِدعة خاصّة بعصر من العصور، بل كانت حلقاتٍ في سلسلة متصلة يمتدّ أصلها إلى القرون الأولى من العصر العبّاسي هذا، وقد أخذت كتب الإنشاء في عصر المماليك تفرِد الجزء الأكبر منها لدراسة الألقاب والمراسيم، دون نواحي نشاط الديوان الأخرى، انظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (ت ٧٤٩ ه)، «مقدمة التحقيق»، في **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق وتعليق محمّد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨): ٣.

(٨) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ١: ٧.

(٩) المرجع السابق: ٨.

(١٠) المرجع السابق: ١٠.

(١١) شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٢: ٨.

(١٢) تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن الحافظ معين الدين أبي بكر محمد بن أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد محمد بن جعفر التميمي السمعاني المروزي (ت ٥٦٢ ه)، **الأنساب**، مج. ١ (حيدر آباد الدكن، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٧): ٢.

(١٣) المرجع السابق: ٣، ٤.

(١٤) المرجع السابق: ٥.

(١٥) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري (ابن الأثير، ت ٦٣٠ ه)، **اللُّباب في تهذيب الأنساب**، مج. ١ (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.): ٧.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، مج. ١: ١، ٢.

(١٨) المرجع السابق: ٩.

(١٩) ظمياء محمّد عبّاس السامرّائي، **المنهج التأريخي عند القلقشندي: دراسة تحليلية** (الرياض: مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، ٢٠٠١): ٦٦.

(٢٠) المرجع السابق؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ ه)، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق وتقديم إبراهيم الإبياري، ط. ٢ (القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢): ٧.

(٢١) القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، مج. ١: ٦.

(٢٢) القلقشندي، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: ٧.

(٢٣) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ١: ١٤١، ١٤٢.

(٢٤) الرّبيع بن يونس، أبو الفضل، الرّبيع بن يونس بن محمّد بن عبد الله ابن أبي فروة، واسمه كيسان، مولى الحارث الحفّار، مولى عثمان بن عفّان ﷺ، كان حاجب الخليفة المنصور، ثمّ وزر له، بعد أبي أيوب المورياني، أحد المقرّبين إلى الخليفة أبي جعفر، ومكين لديه؛ إذ إنّه مُقدّم على الموالي، تُوفِّي عام (١٧٠ه/ ٧٨٧م)، انظر: شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي (ت ٦٨١ ه)، **وفيات الأعيان وأنباء أهل الزّمان**، تحقيق إحسان عبّاس، مج. ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤): ٢٩٩.

(٢٥) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ٧٨.

(٢٦) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ١ :١٣؛ ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري

(ابن الأثير الكاتب، ت ٦٣٧ هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مج. ١، **الصناعة اللفظية** (القاهرة: نهضة مصر، د.ت.): ٩٠ وما بعدها.

(٤٧) Heba El-Toudy and Tarek Galal Abdelhamid, eds., "The Regulation of the Kingdom", *Selections from Subh Al–A'Sha by Al–Qalqashandi, Clerk of the Mamluk Court: Egypt: "Seats of Government" and "Regulations of the Kingdom", from Early Islam to the Mamluks,* Routledge Medieval Translations (London: Routledge, 2019): 1.

(٤٨) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ١: ٣٩.

(٤٩) المرجع السابق: ٥٤.

(٥٠) المرجع السابق.

(٥١) المرجع السابق.

(٥٢) المرجع السابق.

(٥٣) المرجع السابق.

(٥٤) المرجع السابق.

(٥٥) محمود السيّد، **تاريخ القبائل العربيّة في عصر الدولتين الأيوبيّة والمملوكيّة** (الإسكندريّة: مؤسّسة شباب الجامعة، ١٩٩٨): ٦٤.

(٥٦) أحمد عبد الرحمن حماد، **العلاقة بين اللغة والفكر، دراسة للعلاقة اللزوميّة بين الفكر واللغة** (مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥): ٢٣.

(٥٧) ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي (ت ٨٠٨ هـ)، **مقدّمة ابن خلدون**، ط. ٧ (بيروت: دار القلم، ١٩٨٩): ١٣٠.

(٥٨) El-Toudy and Abdelhamid, eds., *Selections from Subh Al-A'Sha*, by Al-Qalqashandi, Clerk of the Mamluk Court :16.

(٥٩) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٣٤٤.

(٦٠) المرجع السابق، مج. ٣: ٤٢٩، ٤٣٠.

(٦١) المرجع السابق، مج. ١: ٤٦٧.

(٦٢) المرجع السابق: ٣٤٦.

(٦٣) المرجع السابق، مج. ٣: ٣٤٧.

(٦٤) المرجع السابق.

(٦٥) المرجع السابق: ٣٦٨.

(٦٦) المرجع السابق.

(٦٧) القلقشندي، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: ١.

(٦٨) القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، مج. ١: ٢، ٣.

(٦٩) المرجع السابق: ٣.

(٧٠) المرجع السابق: ٢٩، ٣٠.

(٧١) المرجع السابق.

(٧٢) المرجع السابق: ٤.

(٧٣) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ٣.

(٧٤) المرجع السابق: ٤.

(٧٥) القلقشندي، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: ١.

(٧٦) المرجع السابق: ٢.

(٧٧) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ٢٦٧.

(٧٨) القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، مج. ١: ١١.

(٧٩) القلقشندي، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: ٢.

(٨٠) المرجع السابق.

(٨١) المرجع السابق: ٣، ٤.

(٨٢) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستّار أحمد فراج، مج. ١ (بيروت: عالم الكتب، د.ت.): ٣.

(٨٣) القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، مج. ١: ٤.

(٨٤) القلقشندي، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: ١٢.

(٨٥) المرجع السابق: ١٣.

(٨٦) حماد، **العلاقة بين اللغة والفكر**: ٢٥.

(٨٧) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٤٦٤؛ القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، مج. ٢: ١١١.

(٨٨) المرجع السابق: ١١١.

(٨٩) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٤٦٢.

(٩٠) القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، مج. ٢: ١١١، ١١٢.

(٧٣) المرجع السابق، مج. ١: ٣٧.

(٧٤) المرجع السابق: ٢٤.

(٧٥) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٨.

(٧٦) حماد، **العلاقة بين اللغة والفكر**: ١٥، ١٦.

(٧٧) ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**: ١٠٧.

(٧٨) المرجع السابق: ١٠٨.

(٧٩) السمعاني، **الأنساب**، مج. ١: ٣٠٢، ٣٠٣.

(٨٠) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ١٢.

(٨١) حماد، **العلاقة بين اللغة والفكر**: ٤٥.

(٨٢) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ١٠٧.

(٨٣) المرجع السابق: ١٠٩.

(٨٤) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ١: ١٤٨.

(٨٥) المرجع السابق: ١٥٩، ١٦٠.

(٨٦) المرجع السابق: ١٧٤.

(٨٧) المرجع السابق: ١٨٣.

(٨٨) عبد اللطيف حمزة، **القلقشندي في كتابه صبح الأعشى**، أعلام العرب ١٢ (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف، ١٩٦٢): ٥، ٦.

(٨٩) حمدان، عبد الحميد صالح، **تاريخ القبائل العربيّة في مصر** (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٩): ١٩.

(٩٠) القلقشندي، **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**: ٢.

(٩١) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٢٧٧.

(٩٢) المرجع السابق: ٢٧٨.

(٩٣) القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، مج. ١: ٧٩، ٨٠.

(٩٤) المرجع السابق: ١٧١.

(٩٥) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٣٣١.

(٩٦) القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، مج. ١: ١-٣.

(٩٧) المرجع السابق: ١٧، ١٨.

(٩٨) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ٣٥٨.

(٩٩) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٣١٩.

(١٠٠) القائد أبو الحسن، جوهر بن عبد الله؛ المعروف بالكاتب الرومي، كان مولًى من موالي المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقيّة، وجهّزه إلى الدّيار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي، وسيّر معه العساكر، وهو المقدّم. قدِم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعزّ لدين الله في سابع عشر شعبان سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م)، ففرَّ الحسين ابن عبيد الله، وتسلّم جوهر البلاد... فكانت مدّة الدعاء لبني العبّاس بمصر، منذ ابتدأت دولتهم إلى أن قدِم القائد جوهر إلى مصر، مائتي سنة وخمسًا وعشرين سنة، ومدّة الدولة الإخشيديّة بها أربعًا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، **المواعظ والاعتبار بذِكر الخِطط والآثار المعروف بالخِطط المقريزيّة**، تحقيق محمّد زينهم ومديحة الشرقاوي، مج. ١، صفحات من تاريخ مصر ١٣٩ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨): ٩١١.

(١٠١) القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مج. ٣: ٣٥٢، ٣٥٣.

(١٠٢) ديفيد إنغليز، وجونهيوسون، **مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة**، ترجمة لما نصير، مراجعة فايز الصيّاغ (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣): ١٩.

(١٠٣) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ٢٦٩.

(١٠٤) ابن خلدون، **مقدّمة ابن خلدون**: ١٣١.

(١٠٥) القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، مج. ١: ٦، ٧.

(١٠٦) المرجع السابق: ٧.

(١٠٧) المرجع السابق: ٢٠.

(١٠٨) المرجع السابق: ٢١.

(١٠٩) السامرّائي، **المنهج التأريخي عند القلقشندي**: ٦٧.

(١١٠) القلقشندي، **ضوء الصبح المُسفر وجنى الدوح المثمر**: ٢٥٠.

(١١١) المرجع السابق: ٢٥٣.

(١١٢) ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**: ١٦٨، ١٦٩.

(١١٣) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، **كتاب الأحكام السّلطانيّة والولايات الدّينيّة**، تحقيق سمير مصطفى رباب (بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠١): ١١٤، ١١٥.

(١١٤) شرف الدين أبو المكارم الأسعد بن المُهذّب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي المليح مَمَّاتي (ت ٦٠٦ هـ)، **كتاب قوانين الدواوين**، تحقيق عزيز سوريال عطية، صفحات من تاريخ مصر ١٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١): ٣١٩، ٣٢٠.

The Memory of Arabs

Peer-reviewed Journal – Sixth Edition – 2022

ISSN 2735-4210

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية